موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

من رسائل الأب صفرونيوس

الصَّلِيبُ خَتمُ القِيامَة

www.coptology.com

Coptology

الصليب ختم القيامة

من رسائل الأب صفرونيوس

٢٠١١

www.coptology.org

جدول المحتويات

المقدمة: ٣
الصليب والقيامة: ٣
التسليم الرسولي الخاص بموت الرب وقيامته: ٥
الروح القدس عربون الفداء الذي قدَّمه الآب: ٦
ختم الصليب: ٨
مجداً وإكراماً للثالوث القدوس: ٩
الفداء من اللعنة والموت: ١٢
التعليم الرسولي الخاص بالمعمودية في رومية ٦: ١٣
دم المسيح والروح القدس: ١٦
المسيح رب المجد، والروح القدس روح المجد: ٢٣
الألم وروح المجد:.. ٢٤
جحد الذات هو الباب الحقيقي للحياة الروحية الحقيقية: ٢٦
الألم هبة ترافق جحد الذات: ٣١
الروح القدس وألم الحياة الجديدة: ٣٢
لماذا ينقل الصليب ألم وموت يسوع وقيامته إلى حياتنا الجديدة في المسيح؟.......... ٣٤
كيف أسَّس هذا عرش الخطية أي الموت؟ ٣٧
قبول أتعاب الحياة ضروري للحرية الروحية: ٣٩
الخليقة الجديدة كما تعلنها الخدمة المقدسة (الليتورجية): ٤٦
التقديم المثلث بالروح القدس:................................... ٥٠
الخاتمة: ٥٤
رشم علامة الصليب وحدود التدبير: ٥٩

الصليب ختم القيامة

المقدمة:

صفرونيوس عبد يسوع المسيح، ولابس صليب الرب يسوع المسيح الذي هو ختم الحياة، أي ختم القيامة، إلى عبيد المسيح المبتدئين في طريق الجهاد، أي طريق الصليب، جهاد ربنا يسوع المسيح، أي رفض الخطية والشر، والموت طواعيةً كل يوم عن كل نية سيئة وفكرة غير نقية، حسب قول رسول المسيح: "مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ" (رو ٨: ٣٦).

سلام في نعمة ورحمة ومحبة ربنا يسوع المسيح.

الصليب والقيامة:

١- حضر بعض الأخوة مع الأب إشعياء وأخبرونا عن تعليمٍ جديدٍ وغريب لم نسمعه من قبل، ولا سلَّمه إلينا الذين عاشوا قبلنا، لأننا لا نجهل التسليم الرسولي الذي حفظته لنا صلوات وطقوس الكنيسة المقدسة، والذي تشهد له الأسفار الإلهية الموحى بها من الروح القدس.

قال الأخوة إن الأب أغاثون يمنع رشم الصليب في خدمة القداس الإلهي؛ لأنها حسب فكره، هي علامة لعنة وموت. وهو يريد أن يقدم قربانه بلا ختم الصليب، بل لا يرشم الصعيدة المقدَّسة بعلامة الصليب. وحسب فكره، علامة الصليب جائزة فقط في صلوات المعمودية ورشومات الميرون؛ لأننا في المعمودية والميرون نشترك في موت الرب، ونُرشم بالمسحة التي كانت أصلاً الحنوط التي كانت على جسد الرب عندما دُفِنَ في القبر. وقد منع الشيوخ الأب أغاثون من الصلاة في الكنيسة حتى يهدأ فكره ويستقر

على رأي؛ لأن عدم ممارسة الطقوس التي سُلِّمت إلينا واختراع طقوس جديدة هو أمر غير لائق ويعبِّر عن فكر شخص واحد يجوز تجربة روحية، وليس عن فكر الجماعة التي نالت نقاء وإرشاد الروح القدس.

ولست أدري لماذا يلبس الأب أغاثون ملابس الخدمة التي يوضع عليها الصليب؟ بل إننا نرشم علامة الصليب في صلوات السواعي، واختيار الحمل، والتقديسات الثلاثة، وتسبحة الشاروبيم والساروفيم، بل وأثناء تقديس الذبيحة السمائية، وبعد ذلك في صلاة القسمة .. وماذا سيقول عن رشم الصليب قبل الصلاة، وعند قراءة الإنجيل، وبعد قراءة الإنجيل، وأثناء السجود.. ويطول بنا الوقت لو شئنا أن نحصر هنا كل رشومات الصليب في كل طقوس الكنيسة. وهل نسى الأب أغاثون أنه عندما رُسِمَ كاهناً وضع الأب الأسقف دانيال علامة الصليب على جبهته ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس، وصرخ بذات الكلمات التي نبدأ بها الخدمة المقدسة: "مجداً وإكراماً للثالوث الكلي القداسة الآب والابن والروح القدس. سلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدسة آمين"[1].

كل هذه العبارات، وطقوسنا المقدسة تؤكِّد لنا أن رشم وختم الصليب هو ختم حياة لا ختم موت، وأن الصليب هو ختم الملك يسوع المسيح الحي إلى أبد الآبدين.

٢- وفكر الأب أغاثون - حسب شهادة الأخوة - يجعلنا مضطرين إلى أن نسأل إذا كان يؤمن بقيامة الرب؛ لأننا في المعمودية المقدسة لا نموت فقط مع المسيح، بل نقوم معه. وإذا توقف إنسانٌ عن ذكر القيامة واكتفى بالموت، فهو متهاون في فهم وقبول هبة الحياة الأبدية في يسوع المسيح ربنا. نحن نموت ونقوم مع المسيح لكي نجوز الصليب بقوة سر المعمودية المقدسة وبقوة مسحة الميرون، ونصل إلى أعماق سر الصليب بقوة القيامة، وهكذا شهد الرسول بولس "لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ" (فيلبي ٣: ١٠).

---

(١) راجع كتاب "ترتيب قسمة الكهنوت"، الطبعة الثانية - مطرانية بني سويف ١٩٩٢ ص ١٠٢.

التسليم الرسولي الخاص بموت الرب وقيامته:

٣- حيث أننا على وشك أن نبدأ الصوم الكبير ونستعد له في انتظار الأسبوع العظيم أي أسبوع البصخة لكي نعيِّد الفصح العظيم، ولم يعد لدينا وقت كافٍ لكي نقدِّم ما لدينا من تعاليم الآباء القديسين: أثناسيوس وكيرلس وذهبي الفم، فإننا نكتفي في الوقت الحاضر بما نعرفه من شهادة الأسفار الإلهية وإيمان الكنيسة الرسولي المدوَّن في صلوات الكنيسة المقدسة التي يعرفها الأب أغاثون وغيره من الأخوة الأحباء.

٤- يقول رسول ربنا يسوع المسيح: "نحن نكرز بالمسيح يسوع مصلوباً، لليهود عثرة ولليونانيين جهالة"، أمَّا "للمدعوين للخلاص أي للحياة الأبدية"، فالرسول يكرز بالمسيح "قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١: ١٤)، فهل توقَّفت "قوة الله" و"حكمة الله" عند الموت وحده، أم غلبت قوة الله وحكمة الله الموت الذي جلبه الإنسان على نفسه؟ ويقول الرسول عن كرازته إنها "شهادة الله" (١ كو ٢: ١)، وماذا تكون هذه الشهادة إلاَّ عن الحياة، لأننا لا نحتاج إلى شهادة من الله أو من إنسان عن الموت، فنحن نرى الموت كل يوم ونعرفه حق المعرفة، وما نحتاج إليه هو الحياة. وهكذا أيضاً وصف الرسول شهادة الله بأنها "برهان الروح والقوة" (١ كو ٢: ٤)، أي برهان روح الحياة، الرب المحيي، الروح القدس، الذي يعطي قوةً لنا لكي نرث الحياة الأبدية.

٥- وعندما يقول الرسول: "أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كو ٤: ١٥)، فهو يؤكد الميلاد للحياة أي ببشارة الخلاص من الموت. وكيف ملك الرب يسوع على الصليب، هل بالموت وحده، أم بالموت الذي به داس الموت، وبالقيامة التي أبادت الفساد وقوة القبر وسلطان الجحيم؟ ويجيب الرسول في عبارة موجزة مؤكداً أن الملكوت جاء إلينا بقوة الصليب، أي قوة القيامة (١ كو ٤: ٢٠).

٦- أمَّا عن المعمودية التي نلنا فيها الاغتسال الكامل من نجاسات الخطايا ونجاسة ولعنة الموت، فإن الرسول يقول: "لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب

يسوع المسيح وبروح إلهنا" (١ كو ٦: ١١) فكيف اغتسل الزناة وعبدة الأوثان من نجاسات الأمم التي ذكرها الرسول قبل أن يُذكِّر المؤمنين بحميم الميلاد الجديد (راجع ١ كو ٦: ٩ - ١٠). هل يمكن أن يغسل الموت وحده الخطية؟ وكيف يغسل الموت الخطايا، والغسل هو عمل يحتاج إلى قوة تزيل الدنس والنجاسة؟ لقد مات الرب وقام لكي يعطي الحياة للموتى من البشر، ويعطي قيامة للجسد حسب كلمات الرسول: "والرب يسوع المسيح هو للجسد" (راجع ١ كو ٦: ١٣). فقد مات وقام لكي يقيم الجسد والنفس من موت الخطية؛ لأنه يؤكد التعليم الرسولي الذي سلَّمه إلينا الرب يسوع بواسطة الرسل القديسين "والله الآب قد أقام الرب يسوع المسيح وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته" (١ كو ٦: ١٥)، لذلك نحن نؤمن بالقيامة كقوة الصليب المحيي، وقوة الله الآب، ولذلك نُرشم باسم الآب وختم الملك يسوع المسيح، ولذلك نُرشم باسم الابن وهبة الروح القدس، ولذلك نُرشم باسم الروح القدس. قوة واحدة لا تنقسم، وختم واحد للثالوث، وهبة حياة غلبت الموت؛ لأن الصليب هو ختم القيامة.

الروح القدس عربون الفداء الذي قدَّمه الآب:

٧- يقول الرسول إن الرب يسوع هو للجسد (١ كو ٦: ١٣)، ويؤكد كلامه بعد ذلك معلناً للخطاة أن "الالتصاق بزانية" هو وحدة جسدانية تجعل الزاني والزانية "جسداً واحداً"، أي وحدة طبيعية. أمَّا تعبير الجسد الواحد الذي ورد في التعليم الرسولي عن الزيجة المقدسة، فهو تعبير يؤكده قول الرب يسوع: "وما جمعه الله" (مت ١٩: ٦)؛ لأن الله يجمع في وحدة جسدانية وروحية، وهو ما يجعل عقد الزواج برشم الصليب؛ لأن الجسد الواحد بدون روح يسوع، هو جسد للموت والهلاك. أمَّا الجسد الواحد بروح يسوع الواحد، الروح المحيي، فهو لميراث الحياة الأبدية. ولأننا في سر الزيجة نعقد عقد الإملاك برشم الصليب، فنحن نؤكد أن الذين يسلكون هذا الطريق صاروا روحاً واحداً مع يسوع المسيح (١ كو ٦: ١٧)؛ لأننا بقوة الحياة في المسيح ننال شركة جسد المسيح الواحد، أي الكنيسة حسب كلمات الرسول: "لأننا جميعنا بروح واحد قد اعتمدنا لجسد

واحد .. وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (١ كو ١٢: ١٣). وهكذا الروح يجمع أعضاء جسد المسيح؛ لكي يجعل من الكل جسداً واحداً، وهو ذات التعليم الذي تؤكِّده صلواتنا المقدسة: "اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأرواحنا وأجسادنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء"[١]. ونحن ننال قوة الحياة الواحدة التي تجعل شركتنا مع الآباء القديسين الأحياء في كورة الأحياء "أورشليم السماوية"، هي شركة أحياء لا شركة موت، ولذلك نطلب شفاعتهم ونرجو أن ننالها في المسيح. ولأننا جسدٌ واحد، وروحٌ واحد يقول الرسول: "مَن يزني يخطئ إلى جسده" (١ كو ٧: ١٨)، أي يخطئ إلى الكنيسة؛ لأن الزنا يجلب العار على اسم المسيح، ويزرع الخصومات ويمزق وحدة الجسد الواحد.

٨- ولما مات الرب وقام، أقام الطبيعة الإنسانية فيه، وصار لنا ميراث الملكوت بقيامة الرب. وعلامة ميراث الملكوت هي "عربون الروح القدس" الذي يسكن في أجسادنا، لأن الجسد الواحد أي الكنيسة وكل مؤمن هو "هيكل الروح القدس" (١ كو ٦: ١٩). وهكذا أعطانا الآب في المسيح يسوع أن ننال "عربون الفداء" مؤكِّداً بذلك لنا أننا في المعمودية المقدسة ننال مسحة من الله الآب، وأن الآب يمسحنا في ابنه "ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله"؛ لأن الآب حسب مسرته جعل الابن هو أصل وأساس الخلاص، وهو الذي أرسل البارقليط لكي يمسح ابنه. وعندما يقول الرسول بعد ذلك "الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح القدس في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢١-٢٢)، فقد أكَّد أن الآب يختم بعلامة الصليب كل الراجعين إليه في المسيح، ونحن لا نعرف ختماً آخر غير ختم الابن الوحيد الذي به ننال كل هبة وعطية في الكنيسة المقدسة.

---

(١) راجع صلاة بعد استدعاء الروح القدس - القداس الباسيلي.

ختم الصليب[1]:

٩- الختم حسب استعمال البشر هو من معدن أو من ذهب، وعندما يوضع على الشمع يظهر اسم صاحبه (رسم الاسم)، وهكذا أيضاً عندما يوضع الروح القدس في قلوبنا بختم المسيح، يظهر رسم المسيح فينا، رسماً حياً فيه "نقش" الصليب وقوة القيامة، أي البذل وحياة الشركة، لأن كلاهما هما شكل المسيح وشكل الخليقة الجديدة الآتية حسب وعد الآب السماوي لنا في ابنه يسوع المسيح.

١٠- وقد دفع الآب مقدَّم الثمن، أي العربون مؤكداً لنا بختم ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح، أننا نحن الذين ننال هذا الختم ندوس الموت، أي نصل إلى غاية خلقتنا عندما "يُبتلع المائت من الحياة"؛ لأن الله خلقنا لهذه الغاية حسب كلمات الرسول: "الذي صنعنا لهذا عينه هو الله" (٢كو ٥: ٥)، وأنه لذلك السبب عينه أعطانا "عربون الروح القدس"؛ لكي نقف أمام كرسي مجده، في مجد الحياة الأبدية التي لربنا يسوع المسيح (٢كو ٥: ٥-١٠)، ونحن الذين أخذنا عربون ميراثنا الأبدي أي ملكوت السموات أو سكنى الروح القدس، ننال هذا في الزمان الحاضر إلى أن يكمل في الدهر الآتي.

١١- وعربون الميراث هو سكنى الروح القدس حسب كلمات الرسول، وأنه وُهِبَ لنا "لفداء المقتنى" (أف ١: ١٣ - ١٤)، أي فداء المؤمنين لكي يظهر مجد جمال رحمة ومحبة الآب في كل الدهور.

وهكذا نحن الذين كنا عبيداً للخطية أو عبيداً للناس، قد نلنا عربون الحرية الأبدية أي الروح القدس الذي يقول عنه الرسول: "أما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كو ٣: ١٧) وهي "حرية أولاد الله" (رو ٨: ٢١) التي تجعلنا في المسيح وبقوة الروح، ننال ذات شكل المسيح الحي سائرين من مجد "العربون" الذي نعرفه ونحسه

---

(١) حسب الأصل القبطي وردت كلمة ختم Sphragis وتعني رشم، ورشم هي كلمة سريانية غير عربية.

بالإيمان إلى مجد الحياة الأبدية "من مجد إلى مجد بنعمة وعطية سكنى الروح القدس فينا" (٢ كو ٣: ١٨).

١٢- ومن أعتقه الرب من عبودية الحرف ونال مقدم ثمن حريته أي الروح القدس، صار في نفس الوقت عبداً للمسيح (راجع ١ كو ٧: ٢٣ - ٢٤). ونحن ننال ختم الحرية من عبودية الجسد والخطية والموت ونلبس عدم الموت وعدم الفساد حسب الكلمات التي تعلن التقوى الأرثوذكسية والتي ترافق مسحة الميرون والتي بها تؤكد الكنيسة المقدسة أن علامة الصليب أو ختم الميرون توضع على أجسادنا بكلمات تعلن: القيامة ونوال عطية الروح القدس والملكوت السماوي الذي لا يفنى. هذا يُعطى بعلامة الصليب لأنه ختم حياة ومجد، لا ختم دينونة ولعنة وموت.

مجداً وإكراماً للثالوث القدوس:

١٣- عندما نقف في الهيكل المقدس، هيكل الله الآب، نسمع بشارة الحياة تعلن لنا أن ذبيحة الكنيسة أي القربان المقدس هي: "مجداً وإكراماً للثالوث القدوس، سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية". ونحن نسمع هذه الكلمات لأننا سبق وأخذنا ختم القيامة وصرنا أحياء في المسيح. وكما تلاحظون أن الكلمات تحتوي أسماء أقانيم اللاهوت، أي تحتوي على صيغة التعميد التي سلَّمها إلينا الرب يسوع وهي كلمات العهد الأبدي: عهد التبني من الآب بابنه يسوع المسيح ربنا وفي هبة وعطية الروح القدس التي بها انتقلنا من الدينونة إلى الحياة الأبدية بواسطة الابن الوحيد رأس وشفيع ووسيط الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، أي جسده.

١٤- ولنقف برهة عند كلمات الحياة، لأن الذبيحة هي عطية الثالوث القدوس من الآب بالابن في الروح القدس؛ ولذلك السبب تُرشم تقدمة الكنيسة باسم الثالوث: "مبارك الآب الضابط الكل، مبارك ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح، مبارك الروح القدس المعزِّي". هذه الكلمات عينها تُرشم بها كل الأشياء وكل الآتين إلى المعمودية ومسحة

المرضى ونعمة وخدمة الكهنوت؛ لأننا جميعاً ننال شكل المسيح أي البذل وذبح النية والإرادة. ولأننا ذبائح روحية للثالوث القدوس، تؤكد الكنيسة هذه الحقيقة عندما نرتل (الاستيخن) المقطع المختار من مزمور ١٠٥ ومزمور ١١٢ أثناء الصوم الكبير وأيام الصوم الأخرى؛ لأننا بصوم القلب والجسد ننال هبة ذبح الإرادة:

"هللوياه إن فكر الإنسان يعترف لك يا رب

وبقية الفكر تعيِّد لك

الذبائح والتقدمات اقبلها إليك" (مزمور ١٠٥: ٤٨ - ١١٢: ١).

هذه الذبائح هي حياة المؤمنين الذين نالوا ختم الحياة في المعمودية المقدسة في مسحة الموعوظين، وبعد التعميد في مسحة الميرون، وفي مسحة المرضى، وترتيب إقامة وقسمة الكهنة. رشمٌ واحدٌ بذات الكلمات المحيية، تؤكد لنا تدفق نعمة الذبح من المسيح رأس الكنيسة إلى الأعضاء الآتين إليه لكي ينالوا ذات شكله .. وتؤكد الكلمات أن المعمودية والميرون وسر جسد الشكر والدم المحيي، ومسحة المرضى ونعمة الكهنوت وكل من ينال ذات الرشومات إنما هو ملتصق بالذبيحة الواحدة أي صعيدة ربنا يسوع المسيح وتقدمة جسده ودمه في علية صهيون، حيث ذُبِحَ بالإرادة وذُبِحَ علناً على الجلجثة. وبسبب (وحدة) عمل الرب الواحد وشركته في حياتنا لكي نشترك نحن في حياته، يرشم الكاهن الصعيدة المقدسة أثناء صلاة الشكر، بذات الرشم الذي يرشم به الشعب، ويرشم الشعب أولاً ثم بعد ذلك القربان المقدس، صليبٌ واحد، وختمٌ واحد محيي للحياة. ولا يجب أن نندهش من كلمات الصلاة التي تقول: "كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان انزعها عنا وعن سائر شعبك وعن هذه المائدة"؛ لأننا واحد مع المسيح، وواحد معه في موته وقيامته، ومعه نجوز كل مراحل حياته بالجسد وهو يجوز معنا ذات التجارب والمحن؛ لأنه رأس الجسد الواحد الكنيسة المقدسة. ونحن جسده الذي لا يمكن أن ينفصل عنه.

ورشم الشعب والمائدة هو تأكيد على الشركة الواحدة في المذبح، أي القلب حيث تذبح النية والإرادة والأفكار، وفي المذبح الناطق السمائي في هيكل الله الآب، والمذبح أي الروح القدس الذي عليه قُدِّمَ القربان الإلهي جسد الرب ودمه حسب كلمات الرسول المبارك (عب ٩: ١٣). وهكذا يجمع الرشم الواحد، أي قوة الصليب، ختم القيامة، البذل الواحد لكي يجعل صلاة رئيس الكهنة كاملة (أي تكمل بالوصول إلى غايتها) لأنه قال: "ليكون الجميع واحداً فينا" (يوحنا ١٧: ٢١).

١٥- وقد انزعجت جداً من عبارات ذكرها الأخوة الذين حضروا عندنا من عند الأب اغاثون، لأنهم قالوا إنه كان يتردد في رشم الصعيدة حتى أثناء الصلاة السرية[١]. إنني أتوسل لكم في المسيح يسوع أن لا نغيِّر العوائد وطقوس الكنيسة حتى وإن كنا لا نفهم ما نمارسه، ولنسأل الشيوخ والعارفين؛ لأن الكنيسة "شركة مقدسة"، ولم تؤسَّس من أجل فرد واحد بعينه، بل من أجل شعب وقطيع خراف الرب كله في كل الأجيال. علينا أن لا ننقل الحدود التي رسمها الآباء القديسون وسلموها إلينا.

١٦- هذه الأختام (الرشومات) توضع على الذبيحة مؤكدة لنا بركة أي استمرار وتقديس وتطهير الصليب المحيي. وعندما نسمع تسبحة البصخة المقدسة: "لك القوة والمجد والبركة"، فإن هذه الكلمات التي تُقال في أسبوع البصخة هي التي تحركنا لرشم علامة الصليب؛ لكي ننال قوة ومجد وبركة المسيح. ورشومات الصعيدة هي مثل ذكصولوجية البصخة؛ لأن رشم تقدمة الكنيسة يعلن مجد المسيح وقوته وحلوله بيننا بالروح القدس وإعلان جسده ودمه للمؤمنين بالذبح الذي قدَّمه مرةً واحدةً حسب إرادته المقدسة الإلهية التي لا تتغير "وبهذه الإرادة (المشيئة) نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠).

---

(١) الإشارة هنا إلى رشم ثلاثة صلبان في عبارات معروفة "باركهما، قدسهما، طهرهما" راجع الخولاجي، الصلاة التي تبدأ "أيها السيد الرب يسوع المسيح الشريك الذاتي ..".

وعندما نطلب "تطهير القرابين"، فهي طلبة لكي تنتقل هذه القرابين من عنصر أرضي طبيعي إلى العنصر السمائي الخاص بملكوت المسيح. وتصبح تقدمة الكنيسة واحدة مع تقدمة رئيس الكهنة في عُلِّية صهيون، وهي ذات التقدمة التي أُعلنت جهاراً على الإقرانيون، قربان واحد مقدس هو ربنا يسوع المسيح نفسه.

وعندما ينقل[1] الروح القدس الخبز والخمر إلى جسد ودم ربنا يسوع، فإن الروح القدس نفسه يكمِّل عمله الواحد مع الابن، فهو الذي أعطانا جسده المحيي بالميلاد من البتول والدة الإله وحسب مسرة الآب. وهو الذي مسحه في الأردن عندما اعتمد من يوحنا، وهو الذي به قدَّم الابن ذاته قرباناً للآب (عب ٩: ١٣). هذا كله يؤكد لنا أننا عندما نرشم الصليب، فإننا نرشم باسم الآب والابن والروح القدس؛ لأن الصليب هو ختم الثالوث، وهو ختم الابن وختم القيامة وختم الروح القدس، لأن كلمات الرشم وكلمات التقديس مهما تنوعت هي من الثالوث وللثالوث وبالثالوث.

الفداء من اللعنة والموت:

١٧- لا يجب أن نخطئ في فهم معاني كلمات الرسول: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ قد صار لعنةً لأجلنا" (غلا ٣: ١٠ - ١٣)، لأن الناموس لعن كل مخالف لناموس موسى ووضع لعنات كثيرة سجلها النبي في سفر التثنية (ص ٢٧، ٢٨)، ولذلك جاء الرب لكي يفدي الذين خالفوا الناموس أي كل البشر، وأول هؤلاء آدم وحواء. والفداء من اللعنة كما يقول الرسول هو عندما عُلق على خشبة الصليب "صار لعنةً لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة" (غلا ٣: ١٣)، ولأن الرسول قال بعد ذلك: "لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان عربون وموعد الروح القدس" (راجع غلا ٣: ١٤). وعندما ذكر بركة إبراهيم للأمم، فهذه البركة آلت إلينا

---

[1] راجع صلوات التقديس "ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك".

بموت الرب الذي بموته وضع نهاية لكل لعنات الناموس، فصار الصليب بركة فك رباطات الناموس؛ لأننا بموت الحمل كلمة الله صار لنا وراثة مواعيد بركة إبراهيم، وهو "موعد الروح القدس"، أي الميلاد الثاني من فوق، وراثة الملكوت، سكنى الروح القدس فينا، فكيف يكون الصليب ختم (رشم) لعنة؟ وكيف يقول الرسول قبل ذلك: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غلا ٢: ٢٠)؟ ومع المسيح المصلوب، وفيه أيضاً يقول الرسول: "فما أحياه في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"، ثم يضيف الرسول: "لست أبطل نعمة الله لأنه لو كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب" (غلا ٢: ٢٠ - ٢١)، وهكذا صارت الحياة المصلوبة هي "نعمة الله" التي عجز الناموس عن أن يعطيها؛ لأن "الوسيط" واحد بين الله والناس (١ تيمو ٢: ٥)، وهو وحده الذي يستطيع أن يعطيها لأنه هو "القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥) التي غلبت الموت.

التعليم الرسولي الخاص بالمعمودية في رومية ٦:

١٨- حسب كلمات الرسول "نحن نموت عن الخطية" بالدفن في مياه المعمودية (رو ٦: ١ - ٤)، هكذا ننال هبة أن نحيا صليب المسيح وموته المحيي. ولكن المعمودية لا تنتهي بالدفن، بل بالقيامة، ولذلك يقول الرسول: "كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن في الحياة الجديدة" (رو ٦: ٤). نحن نعيش الصليب بالقيامة حسب كلمات الرسول: "صرنا متحدين معه بشبه موته" نصير أيضاً "بقيامته"، وحياتنا كل يوم هي حياة نالت صبغة المعمودية[1] التي بها يُصلب الإنسان العتيق أي الفكر والممارسة السابقة على إيماننا.

---

(1) استعمل الأب صفرونيوس المعنى القبطي "صبغة" ليؤكد ليس لون المعمودية بل قوتها الدائمة في النفس والجسد.

والصليب يعلن مجد الآب، لأن مجد الآب هو الاعتراف بربوبية الابن الوحيد "ويعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ١١). ومجد الآب هو في قيامة الابن بالروح القدس؛ لأن روح الآب الذي أقام يسوع من الأموات (رو ٨: ١١)، هو ذات الروح الذي يجعلنا – بنعمته وبحضوره فينا – نعترف بأن يسوع هو رب (١ كو ١٢: ١ – ٣)، فالمعمودية هي الاغتسال الواحد الوحيد الذي يطهِّر الجسد والروح، والذي رمزت له اغتسالات العهد القديم، ولذلك السبب يقول الرسول إننا في المسيح يسوع لم نأخذ روح العبودية للشريعة والحرف الذي يقتل (٢ كو ٣: ٦)، بل أخذنا روح التبني (رو ٨: ١٥) الذي به مع الابن وفيه نصرخ "أبًا أيها الآب" (غلا ٤: ٤). ولنفس السبب الذي ذكرته الآن، أي أننا لم نأخذ روح العبودية، علمتنا الكنيسة المقدسة أن نقول الصلاة الربانية في القداس الإلهي بنفس مستنيرة بنور الروح القدس، ووجه غير مخزي بقوة الإيمان والرجاء الحي بقيامة يسوع من بين الأموات أن ندعو الله الآب "أبانا الذي في السموات".

وبيقين كامل، نحن ندرك أن خدمة سر المعمودية ليست خدمة لعنة وموت، بل خدمة بركة المواعيد، وخدمة من وضع نهاية لسيادة وملك الشيطان والموت وهزم الجحيم أي ربنا يسوع المسيح. ويقول الرسول بولس، وقد أدرك قوة عمل المسيح وصدق مواعيد الله التي أعلنها الرب يسوع وخدمها بحياته وموته وقيامته، فصارت خدمته هي حياته نفسها. إنها خدمة تختلف تماماً عن خدمة العهد القديم "خدمة الموت" المنقوشة بأحرف من حجارة (٢ كو ٣: ٦)، وهي الخدمة التي جلبت علينا لعنة الناموس، وحتى هذه نالت مجداً من الله، ولذلك لم يستطع بنو إسرائيل أن ينظروا في وجه موسى (٢ كو ٣: ٧)، أمَّا مجد المسيح ومجد خدمة الحياة أي خدمة الروح القدس، فهي في مجد المسيح ابن الآب (٢ كو ٣: ١١)، فكيف يمكن لنا أن نهمل ختم الرب نفسه، أو نخاف منه، أو ننسب إليه اللعنة والموت، وهو قوة الخلاص التي أعلنها الآب نفسه في ابنه يسوع المسيح ووهبها لنا بالروح القدس؟ وقد أدرك الرسول ما سوف يُقال عن موت الرب على الصليب فقال إن بشارة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المؤمنين الذين نالوا

الحياة، فهي بشارة فرح وخلاص لأنها قوة الله (راجع ١ كو ١: ١٧). فالرجاء الحي الذي فينا هو رجاء في الخلاص والحياة الأبدية التي وُهِبَت لنا في المسيح الذي أبطل اللعنة وأباد الموت وكل ثماره المرة.

١٩- تقول الكنيسة المقدسة عن سيدنا له المجد: "أيها الطبيب الحقيقي الذي لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا" (أوشية المرضى)، وتؤكد بذلك أن الطبيب الذي جاء يعالج المرض لم يمرض هو نفسه، ولم يسقط تحت سطوة المرض أي اللعنة والموت، بل عالج كل أمراضنا، وأبطل سلطان الموت وغفر الخطايا وأعطانا ليس فقط الصحة، بل الحياة الأبدية. ولأن بشارة الصليب هي بشارة حياة، صارت علامة رشم الصليب هي بداية الصلاة الربانية، ولذلك السبب تسبق هذه الصلاة، وتسبق قراءة الإنجيل، وصارت ختم التقديس عند استدعاء الروح القدس، ورشم التقدمة ثلاث رشومات على الخبز وثلاث رشومات على الكأس، مؤكداً بذلك أن ختم الرب قد وضع على القربان المقدس، وأنه صار بقوة الروح القدس وحسب الوعد الإلهي، جسد ودم عمانوئيل إلهنا.

وبعد الصلاة وقبل توزيع الأسرار يقول الكاهن: "جسد عمانوئيل إلهنا"، وهذه إشارة إلى حقيقة تجسد الرب؛ لأنه "صار فينا" (يوحنا ١: ١٨). وعندما تجسد، أعطانا جسده الإلهي ودمه الكريم، فصار بذلك "دم العهد الأبدي الذي به دخلنا أقداس السموات" (عب ١٠: ١٩). وهو "دم راعي الخراف العظيم" ربنا يسوع المسيح الذي قام "بدم العهد الأبدي" (عب ١٣: ٢٠)؛ لأن الراعي يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠: ١١)، ويعطي لهم حياة بدمه، ولذلك يحمل إلينا ختم الصليب (رشم الصليب) قوة ذلك العهد الجديد الأبدي الذي أباد كل خطية وكل لعنة وكل جحود[١] وجعلنا أحراراً من لعنات الناموس، لأنه هكذا تقول الأرثوذكسية الحقيقية في إصرار: "يُعطى عنا

([١]) راجع صلاة التحليل "أيها السيد الرب الإله ضابط الكل شافي نفوسنا. اللهم حاللنا وحالل كل شعبك من كل خطية ومن كل لعنة ومن كل جحود".

خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه"[1]. وكل هذا إنما يؤكد أن الصليب هو ختم القيامة، أي الحياة الجديدة التي أبادت الموت، وهي هبة حياة يسوع لنا من الله الآب؛ لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي يحيا به العالم.

دم المسيح والروح القدس:

٢٠- إذا كان الأب أغاثون يتردد في رشم علامة الصليب لأن الصليب علامة اللعنة والموت، فماذا سيفعل وماذا سيقول عندما يسمع كلمات الآباء الرسل وكلمات الصلوات المقدسة وهي تؤكد (وحدة) عمل الروح القدس ودم الرب يسوع المسيح وجسده المقدس والإلهي غير المائت حسب كلمات الخدمة الإلهية؟ هل سيمتنع عن ذكر الروح القدس؟ وماذا سيقول عن كلمات الرسول بطرس: "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُعلن (أُظهر) في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بط ١: ١٨ - ٢٠). فدم الرب لا يفنى لأن الرب لا يفنى، وهو معروف حسب التدبير قبل خلق العالم، قبل أن تتكون الأرض وكل الكائنات التي عليها. ولو قرأ الأب أغاثون كلمات الرسول بطرس التي تسبق هذه الكلمات لوجد أن الرسول يؤكد أن الروح القدس يشهد لدم المسيح ولآلامه وموته والأمجاد التي بعدها، إذ يقول الرسول الكريم إن الأنبياء كانوا يبحثون عن الوقت "الذي يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (١ بط ١: ١١). وعن نفس شهادة الروح القدس يقول إن بشارة الإنجيل (الإنجيل) قد أُعلِنَت "بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المرسل من السماء" (١ بط ١: ١٢)، فهي بشارة من السماء. فالإعلان في الزمان عن موت الرب لا يخفي الإرادة الأزلية للآب والابن والروح القدس.

([1]) راجع القداس الباسيلي "صلاة الاعتراف".

٢١- ومن يدقق في دراسة الأسفار يرى أن الدم هو اسمٌ آخر للحياة، ولذلك يقول سفر الأعمال عن الله: "وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض" (أع ١٧: ٢٦). ويقول الرب نفسه وهو يمدح إيمان بطرس: "إن لحماً ودماً لم يعلن لك" (متى ١٦: ١٧)، مؤكداً بذلك أن الإعلان الذي قبله الرسول لم يكن إعلاناً من الناس، من الدم واللحم، بل من الآب.

ويؤكد هذا المعنى قول الرسول بولس بعد أن رأى الرب أنه لم "يستشر لحماً ودماً" (غلا ١: ١٦)، أي أنه لم يأخذ مشورة إنسان. وعن صراعنا الروحي يقول الرسول نفسه: "إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم .. مع أجناد الشر الروحية في (الأمور) السماويات" (أفسس ٦: ١٢). ويقول النبي عن بني إسرائيل الذين وجدوا في القتل راحة لنفوسهم الشقية: "أيديكم ملآنة دماً" (أش ١: ١٥).

٢٢- وعندما يقول سفر اللاويين إن حياة الجسد أو نفس الجسد هي في الدم، فقد أكد المعنى السابق "لأن نفس الجسد هي في الدم، لأن الدم يكفر عن النفس" (لا ١٧: ١١)، ولذلك السبب عينه بعد سفك دم الحيوانات والطيور يقول السفر: "ويغطى الدم بالتراب" (لا ١٧: ١٣)، مؤكِّداً أن الحياة عادت إلى مصدرها الأصلي، وهو تراب الأرض الذي خُلقت منه كل الحيوانات والطيور، بل وآدم نفسه. وهذا يجعلنا نميز بين نفس الحيوان أي حياة الحيوانات، والنفس الإنسانية المخلوقة على صورة الله ومثاله، ومع أن سفك دم الإنسان يؤدي إلى موته إلاَّ أن النفس الإنسانية لا تموت مثل موت الحيوانات؛ لأن القديس يوحنا رأى نفوس الشهداء عند المذبح السماوي حسب كلمات سفر الرؤيا. وهذا يجعلنا نميز بين نفس الحيوان أي حياة الحيوان، ونفس الإنسان أي حياة الإنسان.

وعندما أقام النبي ابن الأرملة قيل: "رجعت نفس الولد" (١ ملوك ١٧: ٢٢)، ولذلك لم تخبرنا الأسفار بأن الحيوانات تقوم من الموت؛ لأن نفس الحيوان ليست مثل

نفس الإنسان. ومن تعبير سفر الخروج عن الذين يتعدون الشريعة: "تُقطع تلك النفس من شعبها" (خروج ٣١: ١٤)، أي تنتهي الحياة بحكم الموت، أي يموت من تعدى الناموس. ويصبح "قطع النفس" هو موت الإنسان أي نهاية حياته.

وعبارات الأسفار المقدسة التي تتكلم عن نفس الإنسان كحياة الإنسان تختلف عن العبارات التي تتكلم عن النفس كعنصر متمايز عن الجسد. يقول سفر الأمثال إن الشهوة لذة للنفس (١٣: ١٩)، وأيضاً: "النفس الشبعانة تدوس العسل" (أم ٢٧: ٧)، لأن الشهوة لا يمكن فصلها عن الإدراك والإرادة والعقل، وبالتالي فهي خاصة بالحياة الإنسانية العاقلة، ولذلك تُنسب للنفس. أمَّا بعد أن نلنا الاستنارة في المسيح واستنارت حياتنا الإنسانية، صارت "شهوات الجسد تحارب النفس" (١ بط ٢: ١)، أي النفس التي استنارت، أي الحياة التي تقبل مشيئة الله الآب في ابنه ربنا يسوع المسيح. ويؤكد سفر الخليقة (التكوين) أن النفس هي الإنسان أو الفرد عندما يقول إن إبرام وساراي ولوط أخذوا كل مقتنياتهما .. والنفوس التي امتلكا (تكوين ١٢: ٥) وتكرر التعبير نفسه (تكوين ١٤: ٢١ - ٣٦: ٦) مؤكداً نفس المعنى.

٢٣- ومن يقرأ بدقة كلمات الرسول في العبرانيين، يجد أن عبارات أسفار العهد القديم تشرح معنى كلمات الرسول. يقول القديس بولس إن "الرب قدم نفسه" (عب ٧: ٢٧)، ثم يقول بعد ذلك إن الرب دخل إلى الأقداس وأكمل رمز يوم الكفارة العظيم "ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب ٨: ١٢). ولأن ربنا يسوع المسيح ليس مثل ذبائح العهد القديم، بل هو خالق كل الأشياء وحامل كل الكائنات "بكلمة قدرته" (عب ١: ٣)، قال الرسول إنه عندما مات على الصليب قدَّم دمه بالروح القدس "لأنه إن كان دم ثيران .. فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب ٩: ١٣). ولم تكن ذبائح العهد القديم تُقدم بالروح الأزلي، كما أنها لم تكن قادرة على أن تطهر الضمائر، ولم تكن هذه الذبائح هي النور، بل الظلال، ولذلك

لم تمنح الإنسان "فداءً أبدياً"؛ لأن الله وحده هو القادر على أن يعطي الحياة، أمَّا الحيوانات فهي مثل الإنسان لا تقوى على الموت، بل تخضع له، وإذا قُدِّمت الحيوانات عن الإنسان، فهي لا تستطيع أن تمنح الإنسان الشركة مع الله، أمَّا الابن الوحيد "الكائن في حضن الآب كل حين"[1] فهو بسبب وحدة جوهر الثالوث يُشرك الروح القدس في ذبيحة الفداء الأبدي؛ لأن الروح هو الذي قدَّم له جسده عندما تجسد حسب مسرة الآب، وعلى الصليب يقدم الابن ذبيحته بالروح القدس؛ لأن الروح القدس مسحه في الأردن عندما اعتمد من يوحنا، وأقامه "المسيح الرب" لكي يكون كاهناً على رتبة ملكي صادق، فدخل إلى الأقداس السماوية حاملاً معه كرئيس كهنة "ذبيحة نفسه" حياً بقوة لاهوته حسب كلمات الرسول "مماتاً في الجسد ولكن محيي في الروح" (١ بط ٣: ١٨)، أي ذاق الموت حسب رتبة آدم، وظل حياً بلاهوته، وهنا يؤكد الرسول أن الرب غلب الموت لأن الموت لا يقوى على لاهوت الابن، ونقل تلك القوة إلى إنسانيته (ناسوته)، فظل جسده في القبر ثلاثة أيام "بلا فساد" (أع ١٣: ٣٧)، فقد جاء الابن إلينا بالجسد ودخل كبكر إلى العالم ومُسح بالروح القدس في الأردن، فدخل خدمة الخلاص كابنٍ على بيته، وعندما صعد إلى السموات، دخل كرئيس كهنة إلى الأقداس السماوية "بدم نفسه" أو "حياته" أي "الذبيحة"؛ لأنه وإن كان جسده في القبر ونفسه الإنسانية نزلت إلى الجحيم لتبشر آدم وبنيه، إلاَّ أن لاهوته كان في السماء عن يمين الآب، وفي القبر مع الجسد ومتحداً به، وفي الجحيم متحداً بالنفس الإنسانية، وهكذا صار تقديم الذبيحة شاملاً؛ إذ طهَّر القبر والهاوية وفتح لنا طريق الأقداس، فحول الموت إلى رقاد، وسدَّ فم الهاوية وسبى الذين فيها، وأعطى لنا كرامة الجلوس عن يمين الآب، وفتح الفردوس للص اليمين، وانهض الجسد بالقيامة.

هذا كله فعله الرب بمحبته للبشر، وبسلطان وقوة لاهوته وعزته كابن وحيد للآب وكرئيس كهنة لا يموت، وكذبيحة حياة لا يقوى عليها الموت، بل قُدِّمت لكي

---

[1] راجع صلاة قسمة عيد الميلاد والتعبير مأخوذ من نص إنجيل يوحنا ١: ١٤.

تميت الموت نفسه وتحوله إلى رقاد وراحة (نياح). هذه هي قوة ومحبة وبذل الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي أبطل اللعنة، ومحا كل العوائق التي تمنع الإنسانية عن شركة الحياة الأبدية.

٢٤- ويبقى علينا أن نسأل كيف، ولماذا اشترك الروح القدس في كل هذه الأعمال العظيمة والكريمة التي أعادت للإنسان الحياة ومنحته الخلود وفتحت طريق السماء أمامه؟

٢٥- قدَّم الروح القدس للابن جسده، عطيةً حرةً اشتركت فيها والدة الإله بالحبل والولادة، جسداً من عذراء لم تعرف رجلاً، كوَّنه الروح القدس؛ لكي يؤسِّس الروح القدس مع الابن بداية الجنس البشري الجديد أو الخليقة الجديدة (٢كو ٥: ١٧)، التي لا تأخذ كيانها ووجودها وبقاءها من عناصر هذه الخليقة، أي تراب الأرض، بل تنال الوجود الدائم الأبدي في ابن الله الحي الذي لا يموت، ولا تقوى عليه الخطية، ولا يتزعزع ثبات بره؛ لأنه في الآب وواحد معه في الجوهر (مساوي له في الجوهر).

٢٦- ولما أسَّس الرب الإنسانية الجديدة في أقنومه الإلهي، وصار آدم الثاني الآتي بالبر وثبات التقديس، حَفِظَ هذا الأساس في أقنومه الإلهي كبذرة حية أو كينبوع حياة. وبالحبل والولادة زُرِعَت هذه البذرة، ثم جاء الرب إلى الأردن لكي يعتمد من يوحنا فينال الروح القدس ويُمسح مسحة أبدية، لكي بالمسحة ننال نحن نعمة التبني والتي تُوهب لنا من الرب بالروح القدس، لأن المسحة خاصة بنا ولأجلنا والرب لم يكن يحتاج إليها قبل تجسده وبعد تجسده، ولكنه كان كمن يؤسس بيتاً لبنيه فوضع الأساس بالحبل والولادة، ثم بدأ البيت يرتفع نحو الحياة الجديدة أي الحياة التي تقوم على عمل نعمة الروح القدس، ولذلك مُسح في المعمودية لكي نشترك نحن في مسحته حسب كلمات الرسول: "وأمَّا أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهو حق وليست كذباً" (١ يوحنا ٢: ٢٧). وقد ارتفع بناء الحياة الجديدة بمسحة الأردن؛ لأنها مسحة الثالوث، فالآب يرسل

الروح، والروح يحل على الابن ويمسح الابن، والابن يحفظ هذه المسحة لنا. وهكذا نمت البذرة، أو ارتفع البيت بشركة الثالوث في تأسيس الخلاص كبيت أبدي وبمصالحة الروح القدس مع الخليقة الجديدة التي تنمو وتثبت في الابن متجهة نحو غلبة الموت.

٢٧- ولما جاء الرب إلى الصليب، جاء وهو المسيح يسوع، أي الممسوح بالروح القدس، وصُلِبَ على الصليب مسيحاً، ولم تفارقه المسحة ولا انفصل لاهوته عن ناسوته، بل قبل الموت من صالبيه، ودخل الموت إلى كيانه الإلهي، ففصل النفس عن الجسد، وهو ذات الانفصال الذي حدث لآدم الأول، ولما فصل النفس عن الجسد، ذاق الرب الموت بالجسد كإنسان مثلنا، ولكنه حوَّل مذاق الموت الذي رمز له روحياً "الخل الممزوج بالمر"، الذي قُدِّم له على الصليب وذاقه الرب، وأبعده عنه أي لم يشربه، ولما انفصلت نفسه عن جسده، ظلت هي ذاتها النفس المتحدة باللاهوت والممسوحة بالروح القدس، فنزل إلى حفرة الموت أي الهاوية "بنفسه الإنسانية"، ودخل الجحيم بمسحة الروح القدس الذي قبله الأنبياء والملوك والأبرار، وبه تنبأوا عن تجسد الرب وآلامه، فاستنارت أفهامهم وعرفوا أن ذلك الآتي هو المخلص الذي تنبأ عنه إشعياء وقال: "لتخرج من الحبس المأسورين ومن بيت السجن الجالسين في الظلمة" (أش ٤٢: ٧)، ونادى الرب بصوته الإلهي كما قال إشعياء: "للأسرى أخرجوا وللذين في الظلام اظهروا" (اش ٤٩: ٩). وأشرق روح الأنبياء بنور المعرفة، فخرج الأسرى بقوة الرب محطم الأبواب النحاسية، وفك قيود المأسورين، وهكذا نزل الروح القدس معه بواسطة المسحة التي أخذتها نفسه الإنسانية إلى حفرة الموت، فنزل كمسيح أي الممسوح بالروح القدس. وسبق داود ورأى ذلك فقال بروح النبوة "أين أذهب من روحك أين أهرب. إن فرشت في الهاوية فها أنت" (مزمور ١٣٩: ٧)، فعرف داود سيده ومخلصه. وعندما يقول النبي: "روح الرب قد ملأ المسكونة" (الحكمة ١: ٧)، فهو يؤكد حلول روح يسوع المسيح في كل مكان، ولكنه أشرق في الجحيم لأنه روح الحياة، وحطَّم بذلك انفصال الإنسان عن الله، أي أبواب

الهاوية وكسر المتاريس النحاسية[١] ودخلت الحياة إلى حفرة الموت أي الهاوية التي تدخلها كل نفوس البشر قبل موت الرب. وأعلن للرب قبل نزوله إلى الجحيم أنه ملك الحياة والموت الذي له "مفاتيح الهاوية والموت" (رؤ ١: ١٨). وفي يوم العنصرة العظيم يعلن الرسول بطرس بشارة الإنجيل قائلاً عن نزول الرب إلى الجحيم: "أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت"، أي هدم صرح الجحيم ويقول بعد ذلك: "إذ لم يكن ممكناً للموت أن يمسك منه" (أع ٢: ٢٤).

٢٨- نزل الروح القدس الواحد مع الابن في الجوهر حسب وحدة الثالوث، والذي مسح نفسه الإنسانية وجسده، إلى حفرة الموت أي الهاوية لكي ينزع عن الموت سلطانه، وهو السلطان الذي كان للشيطان قبل صلب الرب. سلطان الطاغية المستبد، لأننا بعد سقوط آدم كنا مستعبدين لمن هم بالطبيعة ليسوا آلهة أي فيهم مظاهر الإلوهة وجوهر كاذب يخلو من الثبات والبقاء، أي أرواح الشر والأجناد الروحية الساقطة، ولذلك قال الرسول إن الرب تجسد، وحدد تجسد الرب بكلمات ذات دلالة "فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم"، وهو هنا يقصد النسل الآدمي كله، "اشترك هو أيضاً كذلك فيهما (اللحم والدم)". وعبَّر الرسول بذلك عن الشركة الواحدة في الطبيعة الواحدة الإنسانية التي جوهرها المنظور هو اللحم والدم. ولم يكتف الرب بالشركة في اللحم والدم، بل كما يقول الرسول: "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢: ١٤)، وهنا بشكل خاص نرى (أولاً) أن الرب لم يكن خاضعاً للموت، وإلاَّ عجز عن أن يبيده، (وثانياً) لم يكن خاضعاً لمن له سلطان الموت أي إبليس، لأن الخلاص لم يكن تمرد وعصيان إلهي ضد سلطان الشيطان، بل كان السقوط هو تعدي وتمرد وعصيان ضد سلطان الله، وضد سلطان الكلمة ابن الله الابن الوحيد خالق كل الأشياء، وضد سلطان الروح القدس الذي يثبِّت الخليقة ويمسحها بقوته لكي تبقى في دائرة حدودها (لتثبت في طبيعتها)، ولذلك جاء خالق كل الأشياء لكي يعيد الخليقة ورأسها (آدم) إلى

---

(١) راجع طقس الخماسين وذكصولوجية عيد القيامة.

رتبته الأولى ويعززه بقوة المسحة وبقوة الصليب ومجد القيامة. وهنا يقول الرسول إنه أباد بالموت سلطان الشيطان، أي السلطان الواحد المزدوج الخطية والموت، لأن كسر الواحد هو كسر للآخر، فالخطية تحصنت بالموت، والموت تحصن في الخطية وصارت سيادة ومُلك الخطية بالموت هي سيادة وملك الشيطان التي هدمها ابن الله الوحيد بتجسده وصلبه وموته وقيامته. ولأن الرب جاء لكي يقهر ويبيد ويغلب قال الرسول: "ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢: ١٥)، فحرر الجنس البشري من الداء القديم أي الخوف من الموت الذي هو أساس كل خطايا التعدي ومصدر السبح الباطل والأكاذيب والنميمة والسعاية.

المسيح رب المجد، والروح القدس روح المجد:

٢٩- يقول الرسول إن سلاطين الظلمة لم يعرفوا ابن الله، وإن الظلام الذي فيهم أعمى عقولهم، ولذلك "صلبوا رب المجد" (١ كور ٢: ٨)، فالصليب هو مجد الابن الوحيد. وقبل الصليب قال الإنجيلي عن تجسد الرب إنه سكن فينا "ورأينا مجده" (يوحنا ١: ١٤). وعلى جبل طابور عندما تجلى الرب بمجده الإلهي ودخل في سحابة المجد الإلهي أي سحابة الروح القدس رأى التلاميذ مجده (لوقا ٩: ٣٢). وعلى الصليب ظهر مجد الابن الوحيد في غلبة الموت، فهو رب المجد المصلوب بين لصين. وعندما أعلن إلوهيته لليهود ورفضوه يقول الرب: "إن كنت أمجد نفسي فليس مجدي شيئاً أبي هو الذي يمجدني" (يوحنا ٨: ٥٤)؛ ولذلك جاء صوت من السماء يقول: "مجَّدت وسوف أمجد" (يوحنا ١٢: ٢٨). ويقول الرسول بطرس إن الآب "مجَّد فتاه يسوع المسيح" (أع ٣: ١٣)، ولنفس السبب يشهد الإنجيلي لحق الصليب بقوله إنه بعد أن خرج يهوذا الخائن قال يسوع المسيح ربنا: "الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه" (يوحنا ١٣: ٣١). وقال في صلاة رئيس الكهنة: "مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً"، والآن أي ساعة الصليب "مجدني أنت أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا ١٧: ١ - ٥).

هكذا صار طريق الآلام هو طريق الصليب، هو طريق المجد "إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه" (رو ٨: ١٧)، ولكن هذا لا يتم بقوتنا ولا هو مكافأة على احتمال الألم والمعاناة، بل لأن الرب يعطي روح المجد أي الروح القدس لكي يثبِّت أقدامنا في طريق الشهادة للحق، ولذلك السبب نفسه يعزي الرسول بطرس قلوب المؤمنين قائلاً: "إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم" (١ بطرس ٤: ١٤).

الألم وروح المجد:

٣٠- وجديرٌ بنا أن نسأل: لماذا نشترك بالألم في مجد المسيح، وما هي علاقة روح المجد بالصليب؟

جاءت الخطية بالألم والموت، وصار الألم هو أحد (مكونات) الداء الخفي أي الخوف من الموت، وبسبب ابتعاد الإنسان عن اللذة الحقيقية النابعة من العقل (العقل Nous أي قوة الإدراك التي تنال الإلهام من نور الروح القدس)، سقط الإنسان في اللذة الكاذبة وأحبها وصارت الأمور الحسية أكثر إشباعاً للعقل والنفس (قوة الحياة) من الأمور الروحية. جاءت الخطية بفصل الروح عن الجسد والعقلي عن الحسي، وهذا الفصل أحد ينابيع الألم؛ لأن الإدراك (Nous) يصارع اللذة، ويتوه الإدراك بين أنواع اللذات، ويختار أقواها، وإذا بحث عن سبب الاختيار وجد أنه سبب غير عقلي، بل مرجعه الأول والأخير هو الأهواء والخوف.

٣١- لقد خُلقنا على "صورة الله ومثاله" (تكوين ١: ٢٦)، ولذة الله في الخليقة وفرح حكمته بتنوع وجمال الخليقة (أمثال ٨: ٢٢ وبعده)، وأحد علامات الصورة الإلهية فينا هو ذات اللذة الإلهية التي نجدها فينا عندما نفرح بعمل أيدينا وحصاد ثمار ما نزرع، والفرح بجمال شروق الشمس، وهدوء البرية، وثمارها المتنوعة التي تعكس رحمة الخالق واهتمامه وعنايته.

٣٢- لكن بالخطية صارت الفوضى وتشويش اللذات وصراع العقل مع المشاعر، وقهر المشاعر والعواطف حتى لصوت الحكمة فينا هو الذي جعل اللذة أحد مصادر الشر فينا، فقد تحولت صورة الله فينا إلى صورة الإنسان الساقط، أي آدم الأول، وصارت أفكارنا ومشاعرنا محصورة فينا وحدنا، وسادت الأنانية والفرح الكاذب بتنوع اللذات وقوتها على صوت الحكمة الآتي من روح الحكمة. وعندما صرنا "صورةً لأنفسنا"؛ صارت الشريعة الإلهية فينا هي شريعتنا نحن حسب مقاييس "صورة الإنسان بدون الله"، أي المقاييس الذاتية التي مصدرها وغايتها هي الإنسان نفسه.

٣٣- وصار الشعور بألم الخسارة والعجز عن تحقيق لذةٍ، هو الألم الغالب على الآلام الأخرى المتنوعة التي ترافق الفشل في تحقيق لذاتنا ومآربنا. والخسارة والفشل هما من علامات خوف الإنسان من الموت أي الداء القديم. ويرافق الفشل في تحقيق أي لذةٍ، الغضب والنقمة، وهكذا تفتح اللذة الكاذبة أبواب الشر أمام الإرادة والعقل وتأسر الإنسان وتستعبده.

٣٤- وبسبب ما ذكرناه سابقاً، جاء المسيح معلم الحياة ورب الحكمة بشريعة الحياة التي تبدأ بإنكار النفس أو جحد الذات، لكي يُعيد إلينا تدبير الألم وتدبير الحياة الحقيقية التي لا تُستعبد للذة، بل تجد الفرح الحقيقي الأول الذي كان لآدم، وكان أحد علامات صورة الله؛ لأنه فرح الله نفسه بالخليقة. لنتأمل معاً كلمات المزمور: "هوذا ما أحسن أن يجتمع الإخوة معاً" (مزمور ١٣٣: ١)، أو "فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب" (مزمور ١٢٢: ١). هذا هو فرح الله نفسه عندما يجتمع أحباؤه معاً، وفرح الله نفسه بالذين يأتون إليه في الصلاة، والذي ثبَّته ربنا يسوع المسيح نفسه "السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥: ٧)، ومصدر هذا الفرح ليس الذات، وإن كان يستقر في قلب الإنسان، بل هو أحد مكونات الفرح الأول السابق على سقوط الإنسان.

جحد الذات هو الباب الحقيقي للحياة الروحية الحقيقية:

٣٥- تأخذ المحبة عدة أشكال متفرقة؛ لأن الخطية ضربت المحبة وبعثرت قوتها الفعالة التي تحرك كل القوى الأخرى. وكما انقسم الإنسان بسبب الخطية إلى روح وجسد، وصار العقل جسدانياً يحرك ويتحرك بالشهوة. هكذا أيضاً انقسمت المحبة وصارت تتحرك في اتجاهات متعارضة، صارت محبة الأموال أهم من محبة القريب، وصار المال أهم من الصحة نفسها، وأيضاً صارت محبة الذات أعلى وأعظم من محبة الآخرين، بل صارت هي التي تسحق الآخرين من أجل لذَّاتٍ عابرة.

٣٦- جاء معلم الحياة ربنا يسوع وغرس شريعة الحياة الجديدة بأن جمع المحبة المنقسمة المتباعدة والمتنافرة وجعل لها شكلاً واحداً، وهو الصليب لكي يبعد عنها كل الأشكال المزيَّفة الأخرى التي تتصارع وتزيد انقسام الروح والجسد.

٣٧- جاء بقانونٍ واحدٍ، وهو أن نجحد الذات ونحمل الصليب، أي كل منا يحمل صليبه ويتبع الرب. وبهذا لم يختلف جوهر الصليب من إنسان لآخر، بل جوهر واحد له عدة فروع، لأن الصليب هو شجرة الحياة[١]، التي تمتد فروعها لتجمع كل ثمار المحبة الحقيقية على أغصانها. ولنقف عند هذه (النقطة) بالذات، لأن جحد الذات ليس هو كراهية الإنسان وعداوة الإنسان لنفسه، فهذا يعمق الانقسام ولا يشفيه، أي يزيد الفجوة بين الروح والجسد. وما يريده المخلص ربنا يسوع المسيح هو أن نتعلم الجوهر وشكل المحبة الحقيقية من الصليب:

أولاً: أن نحب ذواتنا محبة حقيقية، فلا نطلب لها نار الجحيم ولا عذاب الاغتراب عن الله بالخطية، ولا قساوة القلب بعدم مغفرة ذنوب الآخرين. وهكذا نترك الشرور من أجل الحرص على حياتنا حسب قول الرب نفسه: "ماذا ينتفع الإنسان لو

---

[١] الصليب شجرة الحياة هو أحد الرموز القديمة جداً في الكتابات المسيحية.

ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت ١٦: ٢٦)، أو يصبح مقياس الربح ليس الأمور الزمانية مهما كانت، بل عطية الحياة الأبدية التي لا نسمح لأنفسنا بأن نخسرها بلذة عابرة.

ثانياً: وعندما نحب أنفسنا، فإن "محبة المسيح تحصرنا" (٢كو ٥: ١٤)؛ إذ تجعلنا نرى البذل الحقيقي الذي قدَّمه المسيح بالموت على الصليب، وقبل ذلك بالتنازل من مجده الإلهي لكي يصير إنساناً، فهو الإله لم يظن أن ما له، أي المساواة للآب هو ما يجب أن يفرضه على الطبيعة الإنسانية أي صورة العبد، بل قَبِلَ صورة العبد وعاش بها لأجلنا، ولذلك قال الرسول: "أخلى ذاته"، أي جحد ذاته من أجل غايةٍ أعظم، وهي خلاص الإنسان وبسبب شدة محبته للإنسانية، وعن ذلك يقول الرسول: "لأنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح الذي افتقر وهو الغني لكي تصيروا أغنياء بفقره" (راجع ٢ كو ٨: ٩).

لقد جاء الرب وقَبِلَ فقر الإنسانية؛ لكي تنال الإنسانية من فقر آدم الثاني ما لم يحفظه آدم الأول من غنى الصورة الإلهية. وحسب تدبير التجسد، لم يأخذ الرب لنفسه مكاناً في قصور الملوك؛ لكي يكشف ضعف القوة والمال، كما لم يولد من سبط كهنوتي؛ لكي يؤكد أن الحياة الجديدة لا تُعطى بوظيفة ولا تورَّث ولا تولد من ممارسات طقوس اليهودية. وعاش فقيراً لكي يزرع في قلوب المؤمنين به الاتكال على الآب السماوي. هذا الاتكال هو ترياقٌ هام يشفي الإنسان من الداء الخفي أي الخوف من الموت.

ثالثاً: وبعد كل هذا جاء إلى الصليب، وقدَّم ذاته ذبيحة محبةٍ، وقربان فداء؛ لكي يطلق سراح الأسرى والمقيَّدين بقيود الموت. فماذا حدث للطبيعة الإنسانية التي أخذها الرب يسوع من القديسة مريم والتي ذبحت علانية على الإقرانيون؟

١- جرد الرب الطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله من الاتكال على القوة. حتى قوة أقنومه الإلهي، كانت تظهر علانية وتختفي حسب التدبير لكي يظل الحس الروحي الإنساني نقياً بلا شهوة الاتكال على القوة، ولكي تغتسل المحبة فيه من

محبة القوة، وتصبح قوة العطاء فيه هي أصل خلاصنا، أي عطاء لا يحركه الخوف لأن الخوف هو أحد علامات الموت.

٢- جعل الرب إنسانيته عاريةً تماماً من كل مجد أرضي، إذ قال بفمه الإلهي: "للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (مت ٨: ٢٠). وقد رآه النبي إشعياء بنور الروح القدس فقال: "محتقر ومرذول بين الناس" (اش ٥٣: ٣)، وبسبب فقره قيل: "لا صورة له ولا جمال" (اش ٥٣: ٢). وعندما تعرى من المجد الأرضي، رفض أن ينال "ممالك العالم ومجدها"، وهكذا فضح الشيطان محب القوة والمجد الكاذب. كان مجد الرب روحياً وقلبياً وداخلياً، وكان لذلك السبب وديعاً وينبوع سلام وشفاء، فأحبه الأطفال وأسرعوا إليه يطلبون بركة منه (مت ١٩: ١٤). وكما يقول اسحق العظيم: "النفس التي تستقر في الله، ترى سلامها في الله وحده ولا تحزن ولا تهتم ولا حتى تفرح بالأمور الزائلة، بل فرحها أبدي مثل نصيب مريم الذي لا يُنزع منها"، هكذا كان الاستقرار الكامل لناسوت الرب في غنى لاهوته الذي يعطي ويوزع ولا يطلب، ليس فقط بسبب الكمال الإلهي، بل أيضاً بسبب جوهر المحبة الإلهية نفسها الذي فيه استقر الفكر الإنساني للمسيح، فأحب الصالح مختاراً وحراً، وطلب ما هو مقدس بسبب معرفته ومحبته للحق؛ لأنه كان ينمو "في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لوقا ٢: ٥٢).

ولم يكن ينمو من أجل احتياج، بل كان ينمو في الحكمة؛ لكي يجعل للطبيعة الجديدة نمواً محدداً بحكمة الإنجيل، وكان ينمو في القامة حسب قانون الطبيعة الإنسانية الذي حدده هو كخالق لكل إنسان، وكان ينمو في النعمة؛ لأنه كان يكسب لنا كل يوم شيئاً جديداً يحفظه في كيانه الإلهي المتجسد لكي يعطيه لنا؛ ولذلك ختم الإنجيلي لوقا عبارته بقوله: "عند الله والناس".

٣- وعندما جاء إلى فقر الإنسانية، أغناها بسلطان الشفاء وإخراج الأرواح النجسة. فقد كان أول من أخرج الأرواح النجسة من البشر، وأعطى هذا السلطان

للتلاميذ ولمن يختارهم من المؤمنين. وأقام الموتى معلناً أنه "رب الحياة"، ورد الضالين مثل زكا مؤكِّداً أنه مخلص الخطاة ومحب البشر .. ويطول بنا الحديث، لأن الرب زرع ما لا يمكن لآخر أن يزرعه، زرع الحياة ووزع هذه الهبة بالكلمة وبعطية جسده ودمه، ثم بإرسال البارقليط الروح القدس لكي يعطي الروح القدس نفسه من أقنومه نصيب التقديس لكي تصبح كلمة تعليم المسيح هي ذات كلمة تعليم الروح القدس، ويعطي (يجدد) ظهور الله بالجسد (نقطة) لقاء نبوات العهد القديم، بتعليم الرب، وبإلهام الروح القدس الذي يعمل في المعلِّمين في الكنيسة، ويعلن حق المسيح في المجامع المقدسة المسكونية، ويؤسِّس استمرار إعلان الكلمة المتجسد في كل جيل إلى أن يأتي الرب يسوع في مجده الإلهي ليدين المسكونة بالعدل.

ونفس الروح القدس يعطي لنا هبة حياة الابن الوحيد مؤكداً لنا في سر الشكر الإلهي أننا ننال الثبات في المسيح بأكل طعام سمائي وكأس إلهي هو جسد ودم عمانوئيل إلهنا الذي يسلمه إلينا الروح القدس[1].

([1]) كتب الأب صفرونيوس رسالتين عن الإفخارستيا والقيامة، وقدم فقرات ذات دلالة لاهوتية وروحية بالغة الأهمية سوف تنشر في حينها. ولكن نكتفي هنا بتأكيد تسليم الروح القدس لجسد الرب ودمه من عبارات القداسات ومن الأفضل أن نضع هذه العبارات الآن لمنفعة الدارسين.

"أنت دعوتنا نحن الأذلاء غير المستحقين عبيدك لنكون خداماً لمذبحك المقدس. أنت يا سيدنا اجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة" (صلاة الاستعداد).

وفي صلاة الحجاب: "أيها الرب الذي خلصنا وأدخلنا إلى هذه الحياة .. لكي استحق أن اقترب من مذبحك المقدس وأقدم لك هذه القرابين التي نقدمها لك بالروح الصالح الكامل الذي لنعمتك بالمسيح يسوع ربنا".

وفي صلاة الصلح: "عال فوق كل قوة النطق .. وأرسل لنا نعمة روحك القدوس".

وفي صلاة القسمة: "أيها السيد الرب إلهنا العظيم الأبدي .. اللهم الذي قدس هذه القرابين الموضوعة بحلول روحك القدوس عليها وطهرتها".

ولعل أهم صلاة هي صلاة استدعاء الروح القدس في القداسات الثلاثة حيث تؤكد هذه الصلاة أن الروح القدس هو الذي يعلن، أو حسب الترجمة العربية القديمة يُظهر القدسات أي يُظهر جسد ودم ربنا يسوع المسيح، حيث يقول الكاهن: "نسألك أيها الرب .. ليحل علينا روحك القدوس وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك".

٣٨- جحد الرب إرادته لكي لا ينفرد وحده بعمل الخلاص، بل أسس الشركة عندما أخذ جسده ونفسه من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم، مع أنه الابن كلمة الآب خالق كل الأشياء، كان يستطيع أن يخلق جسده بذاته، ولكنه لم يأت لكي يقدِّس الانفصال، بل جاء لكي يؤسِّس شركة الثالوث الواحد في تدبير الخلاص وانسكاب نعمة الحياة الأبدية في الحياة الإنسانية التي ماتت بالخطية، ولكي يصبح للنعمة الواحدة مصدراً واحداً، وهو الثالوث القدوس.

٣٩- وعلى الصليب كان الربُ ذبيحة الخطية التي رفعت خطايا العالم كله، فهو حمل الفصح الحقيقي الذي أباد الموت، ولما صار ذبيحة الخطية حسب قول الرسول في (٢كو ٥: ٢١)، أكَّد جحد ذاته على الصليب؛ لأنه مات لأجلنا ولم يمت من أجل نفسه ولا حتى من أجل الناسوت الذي أخذه من والدة الإله، بل ذُبِحَ لأجل الآخرين، لكي - بالذبح - يضع حداً لانفصال الحياة الإنسانية عن الله، فقد عبر بالصليب من أرض المائتين إلى "قدس الأقداس"، ودخل حياً بدم نفسه حسب شهادة الرسول، فأسَّس بذلك الفداء الأبدي (عب ٩: ١٢)، الذي أباد التعديات القديمة والخطايا العلنية والسرية وخطايا كافة الشعوب، وفتح باب الفردوس للص، وفاض من جنبه الدم والماء ينبوع غفران وشفاء وخلاص لكل البشر. هذا ما يقود إليه جحد الذات من أجل الشركة، أي شركة الخلاص.

٤٠- ومع أن الرب قام بقوة لاهوته حسب شهادة الإنجيلي "الرب قام" (لو ٢٤: ٣٤)، إلاَّ أننا نرى أن القيامة هي هبة الآب وهبة الروح القدس؛ لأن القيامة هي عطية الثالوث لنا نحن البشر بسبب جحد الرب لإرادته قبل القيامة من الآب ومن الروح القدس، وصار بذلك الإنسان الجديد الحي إلى الأبد الذي بنعمة الله الآب ذاق الموت لأجلنا (راجع عب ٢: ٩)؛ لكي نذوق نحن فيه وبه بواسطة الروح القدس محبة الثالوث، وقوة القيامة وحياة الدهر الآتي.

٤١- ويكمِّل الرب جحده لذاته بعطية سر الشكر. فهو يقبل أن يُعطي للخطاة طعامَ حياةٍ ينقل الخطاة من الموت إلى الحياة، ودواء عدم الموت وهبة تبرير بدمه الكريم تمحو كل الذنوب والخطايا. وهنا لا يكفي أن نقول إن الرب يغسل أقدام البشر كما فعل في العلية مع التلاميذ، بل يغسل قذارة القلوب ونجاسات الروح والجسد أي نجاسات الخطية. وهو يعمل ذلك بمحبته، وأحياناً بتأديب من أجل الإصلاح، ومرات بتجارب قاسية لكي يقود الخروف العنيد إلى الحظيرة فلا يأكله الذئب المتوحش أي الشيطان.

الألم هبة ترافق جحد الذات:

٤٢- يقول الرسول: "كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متوكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات" (٢ كو ١: ٩)، فهل يوجد لدينا أفضل من هذه الكلمات التي تفضح تكاسل العقل وعجز الروح الإنسانية عن قبول هبة الموت لكي تقبل هبة القيامة؟ هذا هو باب الألم الذي سمح به الرب لكي نتطهر جميعنا من الحياة المستقلة التي تريد أن تجد غاية وجودها في الابتعاد عن الله. أمَّا بذل الذات، فله المكافأة الكبرى التي دعينا إليها في المسيح والتي لأجلها يقول الرسول: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (في ٣: ١٠).

٤٣- ويشهد الرسول عن آلام الرب ويقول بجسارة روح الحق: "ورغم كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي، مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق" (عب ٥: ٩)، ولماذا يقول الرسول هذه الكلمات؟ لأنه يريد أن يؤكد أن عطية التبني لنا في المسيح لا تلغي الألم، بل تضعه في مكانه الحقيقي، وهو ذات المكان الذي نراه في المسيح.

فالرب ليس ابناً للآب بعطية التبني، بل هو ابن الآب الأزلي والوحيد الجنس. فما هو مكان الطاعة والألم الحقيقي في حياة من لا يعرف العداوة والعصيان والتمرد؟

والجواب هو طاعة المحبة على المستوى الإلهي، وطاعة الألم على المستوى الإنساني؛ لكي – فيه – تتحد صورتي الطاعة، طاعةُ من يحب حراً كابن للآب، وطاعةُ من يحب مكلفاً بالذبح لأجل غيره وهي طاعة الألم. لأن الموت غريبٌ تماماً عن طبيعة الابن المتجسد، بل مضاد لكل ما في أقنومه الإلهي المتجسد الذي يهب الحياة ويقيم الموتى. هكذا سيق الرب مثل حمل للذبح (أش ٥٣: ٧) بطاعة المحبة التي تقبل إرادة الآب، والتي يجب أن يغرسها في الإنسانية الجديدة لأجلنا نحن الذين سوف نُخلق فيه لحياة جديدة.

وهكذا أكمل الرب بناء الخليقة الجديدة، فصار كاملاً بذوق الموت، عندما أخضع حرية المحبة للذبح، فأسَّس بذلك قانون الحياة الأبدية، أي خضوع حرية محبتنا للذبح لكي كما قال الرسول لا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الذي يحيي من الأموات (٢ كو ١: ٩).

الروح القدس وألم الحياة الجديدة:

٤٤– وهنا يجب أن نسأل من أجل المنفعة: ما هو دور الروح القدس في تكوين وإعادة خلق الطبيعة القديمة لتكون طبيعة جديدة مخلوقة على مثال آدم الجديد؟

علينا أن نعود إلى حياة ربنا يسوع المسيح بالجسد؛ لأن الجواب يقدِّمه الرب لنا الذي صار مثالاً لنا لكي نتبع خطواته.

٤٥– أول آلام الحياة الجديدة هي آلام المخاض والولادة التي يشترك فيها شيوخ الكنيسة والمولودين من التعليم الصحيح. وعندما يقول الرسول: "يا أولادي الذين أتمخض بهم إلى أن يتصور المسيح في حياتهم" (راجع غلا ٤: ١٩)، فهو لا يقصد آلامه وحده، بل آلام المولودين أيضاً. فالولادة من فوق هي ولادة تجلب صراع الإنسان مع حياته القديمة، ورسائل معلمنا بولس مملوءة من عبارات التقوى الأرثوذكسية.

نحن نجوز صراع البرية مع الرب طوال أيام غربتنا في العالم، وكما قاد الروح القدس الربَ لكي يغلب الشيطان، فإننا نُقاد بالروح نفسه إلى ذات حلبة الصراع حاملين في قلوبنا قوة ومجد المسيح.

٤٦- وكتب الرسول قانون الحياة الجديدة التي يكونها الروح القدس مؤكداً أننا نعبد الله حسب الروح وحسب خدمة الروح القدس التي لها المجد الأبدي (٢ كو ٣: ٨). وأكد الرسول جحد الذات قبل إعلان مجد الحياة الجديدة التي ننالها الآن وتكمل يوم القيامة. حقاً هي تبدأ هنا "ونحن جميعنا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣: ١٨). نحن نسير نحو هذه الغاية بالشركة في آلام المسيح وقوة قيامته لكي ننال معه المجد. وهنا يجب أن ندرك أن الرسول يميِّز بين معلِّم الموت، فهو ليس مثل معلم الحياة بقوله: "لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع" (٢ كو ٤: ٥)، ومعلم الموت هو من يغش كلمة الله لكي ينال مديح الهالكين المخدوعين، بل ينام هو على وسادة المديح ويعيش في وهم السبح الباطل (راجع ٢ كو ٤: ١ – ٢). ومعلم الموت هو مَن ينكر الصليب ودور الألم في تجديد كياننا القديم الذي كشف الصليب عورته لكي ينال ستر المجد الإلهي الذي يعطيه الروح القدس، روح المجد الذي هو روح الاستنارة والذي يعلن المسيح (٢ كو ٤: ٦). فهو يؤكد ضعف الطبيعة الإنسانية بقوله: "لنا هذا الكنز (قوة الله) في أوان خزفية؛ ليكون فضل القوة لله، لا منا" (٢ كو ٤: ٧).

حقاً يسكن الروح فينا روح القوة في جسدنا المائت الخزفي القابل للكسر. "مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين"؛ "لأن الباب ضيق والطريق كرب" (مت ٧: ١٤).

"متحيرين لكن غير يائسين"؛ لأن قوة الموت تجعلنا نظن أحياناً أننا لن نبقَ في الوجود ،وأحياناً سحابة التجارب السوداء تجعلنا نتحير، ولكننا لا نسقط في اليأس؛ لأن القوة هي للثالوث.

"مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين"؛ لأننا لسنا تحت سيطرة الموت ونُطرح للذبح لكي ننال مجد القيامة، وذلك ما يؤكده الرسول نفسه: "حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا" (٢ كو ٤: ١٠).

٤٧- ولماذا أكد الرسول أن الحياة، أي حياة يسوع "تُظهَر"، أي لا تظهر منا بل منه هو في الروح القدس؟ وجواب الرسول نفسه هو إن الرب هو الرأس "الذي منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله" (كولوسي ٢: ١٩). فالمسيح هو رأس، أي مصدر الحياة التي من الله الآب وتُعطى لنا في يسوع المسيح "الحياة التي أُظهرت لنا وكانت أصلاً عند الآب (راجع ١ يوحنا ١: ٣)، أي الحياة الأبدية التي تُعطى لنا بالروح القدس الذي مَسَحَ يسوع وصيَّره المسيح الرب لأجل خلاصنا.

هذه الحياة ليست منا، بل من يسوع المسيح، ولذلك هي "تُظهَر"، وهي هبة وعطية أبدية ومعها الألم كما يقول الرسول نفسه: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله" (فيلبي ١: ٢٩)، لنقبل هبة الصليب لكي نقوم معه.

لماذا ينقل الصليب ألم وموت يسوع وقيامته إلى حياتنا الجديدة في المسيح؟

٤٨- جاء سقوط آدم بانفلات الإنسان وتحلله من الشريعة الأدبية، ومن غاية خلقه على "صورة الله ومثاله"، أي ليحيا لله، فعاش حياةً مستقلةً ظنَّ أن فيها البقاء الأبدي بدون نعمة الله. وكان من الممكن أن يفنى آدم ويعود إلى العدم، ولكن رحمة الله وعناية الله حفظته للخلاص الذي أُعلن في يسوع المسيح.

جاء الرب بالتعليم أولاً وعلَّمنا عن الآب وعن الروح القدس، ثم أسَّس الحياة الجديدة فيه أي في كيانه هو. نحن لا نأخذ حياةً أبديةً من مصدر مخلوق، بل من الله في

يسوع المسيح ابنه؛ لأن الحياة التي تنمو حسب قوانين الطبيعة الإنسانية (البيولوجية) والتي تتغذى على ما تقدمه الأرض هي حياة الضعف والهوان. أمَّا الحياة التي تتغذى بالقوت السماوي بالخبز النازل من فوق من عند الآب، فهي الحياة التي لا يقوى عليها الموت "من يأكل جسدي ويشرب دمي يحيا إلى الأبد" (يوحنا ٦: ٥٤).

عندما صار المسيح إلهنا هو "حياتنا"، تحوَّلت كل عناصر الخليقة القديمة إلى خدمة وإعداد تجلي الخليقة الجديدة في المسيح. هكذا ضم الرب وجمع المياه والروح القدس لكي يحول مياه هذه الخليقة إلى عنصر سمائي يغسل الجسد بشكل منظور والروح الإنسانية بشكل غير منظور في مياه الحميم الثاني، وبارك الخبز والخمر لكي تسري هذه البركة في كل عناصر الكون التي تكوِّن الخبز والخمر لكي تقدِّم مع الكنيسة صعيدة الحمد والتسبيح عندما يتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم عمانوئيل إلهنا حسب الترتيب الرسولي.

٤٩- وعندما صار المسيح وحده هو حياتنا، صار الألم نوعين:

* ألم طلب الحياة من ينبوع آخر غير الرب، وهو آلام الخطية.

* الألم الذي يوهَب لنا بالروح القدس، أي ألم الموت والقيامة الذي يفصل حياتنا الترابية القديمة عن حياتنا السمائية الجديدة.

والنوع الثاني هو الذي يخصنا هنا، لأننا نعرف ما تفعل الخطية فينا. ما حدث على صليب رب المجد يُنقل إلينا كاملاً؛ لأننا بالصلب مع المسيح والموت معه نقوم إلى الحياة الجديدة. وعن ذلك يقول الرسول بولس: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا - أي كما كنت قبل الإيمان - بل المسيح يحيا فيَّ" - أي مصلوباً وحياً قائماً من الأموات. فكيف يحيا المسيح فينا مصلوباً، أي نُصلب فيه لكي نموت؟ وجواب الرسول نفسه هو: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات" (فيلبي ٣: ١٠). ولم تكن شركة آلام الرب التي عرفها الرسول هي شركة آلام الخدمة فقط، بل شركة خلق وتكوين الحياة الجديدة التي فيها نعاني ألم ترك لذَّات الحياة القديمة.

ينقل إلينا الروح القدس كل حياة الرب، لكي تصبح مصدر حياة، ومثالاً وصورةً لخلاصنا. فهو أي الروح يملأ كل زمان ومكان ويحل فينا ويحل في اجتماعات الكنيسة. هو يحل في كل زمان ومكان؛ لأنه رب الخليقة "الرب المحيي"، ويحل فينا بسبب شركتنا مع المسيح وفيه، ويحل في الكنيسة لأنه النعمة التي تُعطي الصلاة، وهو الذي يُعلن الأسرار، ويشهد لحق المسيح في الاجتماعات (حرفياً Synax أي اجتماعات الشركة في التعليم والأسرار). وحلوله في المؤمنين هو عطية أبدية، وحلوله في اجتماعات الشركة في الكنيسة هو شركته في خدمة كهنوت ربنا يسوع المسيح، وهو مع المسيح يوزِّع عطية التبني ومسحته، وغلبة الشيطان، والتعليم الصحيح أي "تفصيل كلمة الحق باستقامة" موزِّعاً نصيب المؤمنين الذي يفصله المعلم الكنسي. وهو كما نشرح بعد هذه (السطور)، ينقل إلينا موت الرب وقيامته، كقوة حياة، تقديس وتطهير، وفك رباطات الخطية، وإعلانات الدهر الآتي، وحياة الشركة في الثالوث.

ينقل إلينا الروح القدس موت الرب وقيامته على النحو التالي:

مات الرب، وبموته فقدت الخطية سلطانها. فقد كان الموت الذي جاء مع الخطية هو نفسه سلطان الخطية، فهو ليس مجرد نتيجة للخطية؛ لأن الرسول يقول: "كما ملكت الخطية بالموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١) والخطية تملك بالموت، لأن الموت هو تحوُّل في طبيعة الإنسان، يجعله يتحول من كائن حي إلى كائن ميت، وتصبح كينونة الإنسان أسيرةً لكل ما يجعله يفقد الحياة – أي لذات وشهوات وغرور الحياة الخاضعة للموت – وهو ما يظن الإنسان أن فيه حياته وبقائه.

٥٠- كيف ملكت الخطية بالموت؟ جاءت الخطية بالانفصال (العزلة)، ومع الانفصال جاء الاغتراب العقلي عن الله والكون، وجاء معه الاغتراب بكل صوره. اغترب الإنسان عن أخيه، وقتل قايين هابيل، ورقد لوط مع ابنتيه، وشاهد داود "مسيح الرب" امرأة أوريا ووقع في أسر الزنا. ومع الاغتراب جاء خضوع الإنسان للزمان، وصار العمر

يُحسب بعدد الشهور والسنوات، وصار الزمان عامل اغتراب عن الآخرين ولم تعد الذاكرة تعمل حسب الإحساس الروحي، بل حسب قواعد الحساب. وصارت المخيِّلة تبحث عن البعيد جسمانياً من أجل لذة عابرة وتسرق صورته من أجل الانغماس في الشر. وماذا يمكن أن نقول أكثر من ذلك؟ جاء الموت وأسر حرية (حركة) المحبة من الارتباط بالله وبالوصية المقدسة إلى حركة مقيدة باللذات والشهوات دون ضابط أو غاية واضحة سوى إرضاء الذات.

كيف أسَّس هذا عرش الخطية أي الموت؟

٥١- والجواب في كلمة واحدة، وهي "خضوع" الإنسان وعجزه عن أن يتحرر من رباطات الانفصال والزمان، وفقدان حرية (حركة) المحبة المرتبطة بالله. عندما خضع الإنسان للانفصال (العزلة)، فتصور وبنى لنفسه حياةً خاصة به صارت في عرش الخطية أي الموت. هذا يشبه ما حدث للابن (الضال) الذي أخذ ميراثه وبدده في حياةٍ ظنَّ فيها الحرية، فوقع ضحية خيال وشهوات أسرت حريته وكوَّنت له حياةً كاذبةً، لها صورة الحياة وهي الموت؛ لأنه وصل إلى الحالة التي كان يشتهي أن يشبع من طعام الخنازير.

٥٢- وتمكَّن الموت من معرفة الإنسان، وصار الموت أحد مكونات المعرفة، ورغب الإنسان في اكتشاف جوهره، فقتل، وعذَّب واكتشف السموم مع اكتشاف الطب لكي يغلب الموت بالطب، ولكي يجعله العقوبة الأكبر. وصار الموت أحد مكونات "منطق" الإنسان وأحد أدوات قياس الأمور واتخاذ القرارات. وهكذا لم تعد معرفة الإنسان خالية من الموت ولا استطاعت أن تحرر من الموت.

والتصق الموت بالمعرفة، وصار أحد ينابيع الخوف الأساسية في حياة الإنسان، وتحول إلى داءٍ خفي يحرِّك الكبرياء دفاعاً عن كرامةٍ زائفةٍ، ويقود الغضب من أجل الدفاع عن النفس، ويثير شهوة الطعام ظناً أن الطعام يحفظ الحياة، ويدفع المخيلة إلى اختراع

السيوف والرماح والسهام واستخدام النار لقتل الآخرين[١].

ملكت الخطية بالموت، لأنها صارت التصرف والسلوك الذي يبدو لكل إنسان أنه طبيعي أن يولد وأن يحيا وأن يموت. وحقاً الولادة ليست "قانون الطبيعة"، بل عطية الله، والحياة ليست من الطعام والقوة بل كما يقول سفر الأعمال: "لأننا به نحيا ونوجد ونتحرك" (أع ١٧: ٢٨). أمَّا الموت، فهو لم يُخلق مع الحياة، بل جاء كما يقول سفر الحكمة: "بحسد إبليس"، وجاء كما يقول الرسول مع الخطية "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢). والموت عدو الحياة، ولذلك عند قيامة الأموات يتم القول الإلهي: "ابتُلِعَ الموت إلى غلبة" (١ كو ١٥: ٥٤). ويحدد الرسول هذا الداء الخفي "أمَّا شوكة الموت فهي الخطية" (١ كو ١٥: ٥٦) وحدد الرسول التصاق الموت والخطية بالناموس عندما قال: "وقوة الخطية هي الناموس" (١ كو ١٥: ٥٦)؛ لأن الناموس زِيد - كما يقول الرسول - بسبب التعديات، وهكذا خلقت الخطية الشهوات التي تتعارض مع الوصايا، فصارت حتى الوصية المقدسة والنافعة هي عدو الإنسان، وصار الناموس هو خادم الخطية. لم يخلق الله الموت كما خلق الحياة؛ لأنه لم يخلق الانفصال عنه، ولم يخلق سبب هذا الانفصال أي الخطية.

٥٣- وهكذا أسَّست الخطيةُ عرشها أي الموت، وساد الموت على الكل لأنه ملك بالخطية كما ملكت الخطية بالموت، إلى أن جاء "ربنا يسوع المسيح" وهدم عرش الخطية[٢] وحرَّر (حركة) المحبة، إذ سكب روح المحبة أي الروح القدس في قلوبنا (رو ٥: ٥)؛ لكي نحب بعمل وإيحاء الروح القدس وقوة القيامة، لأن روح الحياة الجديدة، أي حياة يسوع المسيح، تحرر الفكر والإرادة بمثالٍ واضح، وهو الحياة التي تغلب بقبول الألم، وتقهر بالمحبة، وتنتصر بالعطاء.

---

(١) ماذا سيقول الأب صفرونيوس - لو كان معنا في العصر الحديث - عن الإبادة بالصواريخ والقنابل النووية.

(٢) تقول صلاة الصلح: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح".

قبول أتعاب الحياة ضروري للحرية الروحية:

٥٤- أعود وأُكرر ما سبق وقلناه في اجتماعاتنا، وهو التعليم الروحي الصحيح، لا حرية دون ألم؛ لأن الألم هو مخاضٌ دائم إلى أن تكمل الحياة الجديدة، وأتعاب الحياة الجديدة هي ضرورة وشهادة على أننا نتقدم إلى الأمام، والأمام هو القيامة، وختم القيامة هو الصليب.

٥٥- خبز الله النازل من فوق الذي خُبِزَ في نار المحبة الإلهية، وحسب قول الرب يسوع: "ختمه الآب" (يوحنا ٦: ٢٧) بالروح القدس لكي ينقل إلينا قوة ومجد وحياة الابن الوحيد المولود بالجسد من العذراء، أي قوة الإتحاد، ومجد التبني والسماويات.

٥٦- يسأل الجسدانيون أسئلةً يظنون أنها صعبةٌ ويستحيل الإجابة عليها ويقولون: كيف يعطي جسده وهو جالس مع التلاميذ في العلية؟ وكيف نأكل جسد الرب ونشرب دمه ولا ينتهي بعد التناول؟ وهكذا أيضاً تسجَّس ضمير بعض الأخوة الذين ظنوا أن علامة الصليب هي علامةُ لعنةٍ، ولا يجوز أن توضع على خبز الصعيدة وملابس الخدمة أو تُعطى أثناء التقديس، أو يرشم بها الشعب والصعيدة أثناء استدعاء الروح القدس.

وسوف نجيب إجابة واحدة على كل هؤلاء، وهي ليست إجابة على كل سؤال سأله هؤلاء، ربما عن حُسن نية، بل هي إجابة شاملة ترد على كل سؤال مهما كان.

٥٧- لكي نتجنب الوقوع في نفس أخطاء الهراطقة ولا نتأثر بالفضول ونتزعزع، يجب علينا أن نميِّز بين المسيح رب الحياة وخالق وحافظ كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١: ٣)، وغيره من الأنبياء ورجال الله القديسين. فالرب وإن كان يُحسب كواحد بيننا "البكر بين إخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، إلاَّ أنه أيضاً الأقنوم الثاني في الثالوث القدوس الذي له ذات مجد وقوة وكرامة وسيادة وعزة وإلوهية الآب والروح القدس. وفي المسيح يسوع رب الحياة انتقل الوجود والكيان الإنساني من الفساد والموت إلى عدم الفساد

والحياة الأبدية. هذا يتم حسب الروح، ويكمل في يوم الدينونة أي يوم قيامة الأجساد عندما نتغير إلى تلك الصورة عينها (٢ كو ٣: ١٨)، وهكذا يجب علينا أن نلاحظ – بالإيمان وبما يعلنه الروح القدس – أن الخبز والخمر على المذبح المقدس السمائي الناطق أي مذبح الكنيسة الجامعة قد انتقل من الخليقة الأولى الترابية الخاضعة للفساد والموت إلى الخليقة الجديدة التي نالت في المسيح عدم الفساد والحياة الأبدية ومجد السماويات. وعندما نقول إنه ليس خبزاً وخمراً بعد التقديس، فلأن التقديس نقل كل الأشياء من سلطان الفساد والموت إلى قوة وسلطان عدم الفساد والحياة الأبدية.

هذا هو ما تم في المسيح بموته المحيي عنا وبقيامته المجيدة، فأعلن سر التدبير الذي كان مخفياً عندما لَبِسَ الأقنوم الثاني ابن الآب وكلمته القادر على كل شيء، الناسوت، فقدَّسه فيه وجعله واحداً معه، ونقل إليه – بسبب الاتحاد – كل خصائص الحياة الإلهية، وحفظه ناسوتاً كاملاً لم يفقد طبعه الإنساني؛ لأنه في هذا – بشكلٍ خاصٍ – أعلن الرب محبته للبشر.

ومع أن كل شيء كاملٌ في تدبير الخلاص، لأن "لُعاب" الرب يسوع عندما امتزج بالتراب وصار طيناً، فتَّح عيني المولود الأعمى (يوحنا ٩). وعندما لمست نازفة الدم هدب ثوبه، شُفيت (مت ٩)، ولما لمس نعش ابن الأرملة قام حياً (لو ٧)، فأكد بذلك أن الناسوت اشترك في صفة الحياة وأخذ من اللاهوت القوة الإلهية التي تجعله أداة إعلان مجد وعزة وقوة الابن الوحيد.

وهكذا نقول نحن بإيمان مستقيم (أرثوذكسي) إن الرب عندما أخذ الخبز على يديه في عُلية صهيون، نقول عن يديه: "الطاهرتين اللتين بلا عيب وبلا دنس الطوباويتين المحييتين"، ونقصد من ذلك أن قوة الحياة لم تظهر بعد القيامة، بل كانت دائماً فيه؛ لأنه جعل ناسوته "واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". ويديه الطاهرتين أعطت البركة، وهما بلا عيب وبلا دنس؛ لأنهما ينبوع شفاء وتجديد. وطوباويتين؛ لأنهما يدي الحمل ابن الآب. أمَّا قولنا: "المحييتين"، فهذا يؤكد لنا أن حياة الابن الوحيد تُنقل

إلينا من أقنومه الإلهي بواسطة الناسوت، كما رأينا سابقاً في عمل المعجزات عندما ردَّ الحياة للموتى، وطرد الشياطين، وأشبع الجوعى من خبز البركة في البرية. هاتين اليدين المحييتين هما اللتين سُمِّرتا على عود الصليب لتحول الموت إلى قوة خلاص وتبيد سلطانه وتغلق فم الهاوية.

ولنفس السبب نقول أيضاً إن عطاء الرب في علية صهيون، أي عطاء المحبة هو عطاءٌ حقيقيٌ يعود إلى قوة وفعل اتحاد اللاهوت بالناسوت، وأن الرب الذي هزم موت لعازر، وموت ابن الأرملة لم يكن ضعيفاً عاجزاً أمام الموت وهو جالس مع تلاميذه في علية صهيون، فهو رب الحياة وهو على الصليب؛ لأنه كائن مع الآب وفي الآب وفي الروح منذ الأزل ودائماً بلا انقطاع، ولم يفقد إلوهيته وهو في الجسد، وظل الإله المتجسد وهو على الصليب ونفسه في الهاوية وجسده في القبر، وجالس مع الآب على عرش الإلوهة في السماء. ولذلك مدَّ يديه "المحييتين" وأخذ الخبز وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، ونقل بذلك التدبير الأزلي إلى زمان البشر، وأعلن ما كان مزمعاً أن يعطيه قبل خلق العالم. وهنا لم يتجاوز الرب حقيقة غلبة الصليب ولا قوة القيامة، فهذه إعلانات تعود إلى الأزل وزمان إعلانها يؤسِّسها في زمان البشر ولا يكوِّنها في ذات الأقنوم. فالحياة التي تُسكب من اللاهوت في الناسوت، تُعلَن حسب التدبير ولا يكوِّنها الإعلان نفسه، بل يكوِّنها لاهوت الابن.

وجديرٌ بنا أن نتوقف عند هذه (النقطة) لنقول إن ما يعلنه الرب في الزمان للبشر هو علاقة بينه وبين المؤمنين، علاقة حياة وشركة، وليس حدث يعبر وينتهي، بل حقيقة ثابتة. وتعاقُب أحداث الخلاص مثل إقامة لعازر، أو معمودية الرب في الأردن بواسطة يوحنا لا يعني بالمرة أن ما حدث قد بدأ وانتهى، بل يعني أن ما حدث قد أُعلن حسب قوة الحياة الأزلية، وأن ما أُعلن هو "لأجلنا نحن البشر"، و"لأجل خلاصنا". فأحداث الخلاص لا تخلق الخلاص، بل تُعلِن الخلاص السابق تدبيره على كل العصور.

٥٨- ومع أن الرب لم يكن قد قام من الأموات، إلاَّ أنه أعطى جسده ودمه "لغفران الخطايا وللحياة الأبدية" للتلاميذ، وبذلك أكَّد لنا أن عطية الجسد والدم تعود إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت وأن إعلانات الخلاص على الجلجثة ومن القبر عندما أشرق نور عدم الموت، هي إعلانات تؤكد ما سبق وأسَّسه الرب؛ لأنه يقول ويعمل، يَعِد ويفي، يؤسِّس ويُعلِن، وبذلك ما يحدث بعد أي عمل من أعمال الخلاص يجب أن يوضع معاً في وحدة واحدة مصدرها الواحد والوحيد هو رب الحياة ابن الله خالق كل الأشياء ومؤسِّس كل الدهور.

٥٩- لنتذكر دائماً أن كل أعمال الرب هي أعمال الكلمة الخالق الذي له سلطانٌ على الخليقة، وهو مانح الحياة حسب إرادته وحسب قدرته. هو بقدرته يحول الماء خمراً؛ لأنه إله الحياة، وبسلطانه يجيء بِلعازر من الهاوية ويجدد الجسد الذي أنتن. وهكذا عندما يمسك بيديه المحييتين الخبز والخمر، فإنه ينقل العنصر الأرضي إلى الخليقة الجديدة حيث لا موت ولا انفصال ولا فساد، وحيث الحياة قائمة ليست فقط بإرادة الله الآب، بل بشركة الخليقة الجديدة في ابنه الوحيد.

ويعظنا رسول المسيح بقوله لنا إن الآب سيعطي لنا "روح الحكمة والإعلان" لكي نعرفه عندما تستنير عيون أذهاننا لكي نعلم "ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (راجع أفسس ١: ١٨ - ١٩)، فقد أعلن الآب في ابنه الوحيد رجاء دعوة الإنجيل (بشارة) الحياة الأبدية، وغنى مجد ميراثه أي الجلوس عن يمينه في السماويات لكي ننال ذات مجد ابنه. ويكمل الرسول قوله لنا مناشداً إيانا أن ندرك "عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل (الدهر الآتي). وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء لكنيسته التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ١٩ - ٢٣).

وبهذه الكلمات الرسولية رَسَمَ الرسول حدود طبيعة الخليقة الجديدة. فالمسيح رأس الجسد الكنيسة، وهو بالقيامة من الأموات صار:

* فوق كل رياسة، وهو لا يقصد فقط الرتب الملائكية، بل كل قوة.

* "فوق كل سلطان" أي كل حدود الطبيعة الأولى، الخليقة القديمة، القائمة بسلطان الله نفسه، إذ صار آدم الجديد فوق حدود النظام الكوني وقوانين الطبيعة.

* "فوق كل قوة وسيادة"، أي الموت والفساد وكل ما هو من بقايا الخليقة الأولى.

* "فوق كل اسم يُسمى"، أي كل شخص في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

* "أخضع كل شيء تحت قدميه" كما في كلمات المزمور الثامن، ولكن هنا بشكل خاص الزمان نفسه وحدود الدهور السابقة والآتية.

* "إياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة"، وهكذا يصل الرسول إلى غاية التدبير، فقد جمع الرب كل شيء في السماء والأرض تحت رأس واحد، وهو "تدبير ملء الأزمنة" (أفسس ١: ١٠)؛ لكي تمتلئ كل الأزمنة من الحياة الجديدة، ولكي يخضع كل شيء لرأس الكنيسة التي هي جسد المسيح، ولذلك امتلأت الكنيسة من الذي هو "الكل"، والذي هو "الملء"؛ لأننا من "ملئه" نحن أخذنا نعمةً فوق نعمة (يوحنا ١: ١٦). وجاء الملء بالحياة الجديدة لكي لا تكون الكنيسة معوزةً في شيء، وعندما قال الرسول: "ملء الذي يملأ الكل"، أي الرب الذي فيه اجتمعت السموات والأرض، وأضاف: "ملء الذي يملأ الكل في الكل"، أي فيه هو الرأس الذي منه تولد جميع الأعضاء وتنمو نمواً من الله.

٦٠- وحسب التعليم الرسولي يمكن أن نرى في نور كلمات هذا التعليم كيف نقل الرب السماويات إلينا وأدخل الحياة الجديدة في الكون الذي خضع "للبطل" (رو ٨: ٢٠). فالرب فوق كل رئاسة وسلطان، وهذا يجعل مقاييس الحياة الجديدة تعلو على

كل رئاسة[1] وسلطان وشخص، وهو المراد بكلمة "اسم". وينفي الرسول وجود أي سلطة ورئاسة في هذا الدهر والدهر الآتي مؤكداً الثبات الأبدي لرئاسة المسيح وعمل "شدة قوة الآب"؛ لأن الترتيب صار حسب القيامة وهي خضوع كل الأشياء وكل الخليقة إلى سلطان ورئاسة الحياة. و"شدة قوة الآب" في أنه "أخضع كل شيء تحت قدمي الابن" (١ كو ١٥: ٢٧)، وهو ما يجعل الزمان خاضعاً للأبدية، والموت للحياة، والترتيب الطقسي للخدمة المقدسة لعمل الروح القدس، والسلطان للمحبة، والقوة للبذل، والوجود للثبات الإلهي الذي هو ثبات الابن، وتعاقُب الزمان لفاعلية ودوام عمل الروح القدس، والفساد للبقاء، وتحلل الجسد لمجد القيامة، والصلاة لخدمة البارقليط، والصوم لتجلي الجسد بالروح القدس، والتواضع الحقيقي لبركات الدهر الآتي، والأرواح النجسة لسلطان اسم الرب في المؤمنين، وخدمة تنوع المواهب الروحية من أجل الجسد الواحد، فلا تقود المواهب للانقسام، والنسك من اجل الاحتفاظ بالنعمة، والألم من أجل طهارة الطبيعة من فساد السقوط. هذه هي بعض ملامح الخليقة الجديدة، وهي كلها وما ورد في الأسفار المقدسة نراه في حياة ربنا يسوع المسيح له المجد، فهو الإعلان الكامل عن هذه الحياة.

٦١- ويحدد لنا التعليم الإلهي نفسه الذي سُلِّم إلينا بواسطة الرب أنه هو نفسه "الخبز النازل من فوق الواهب الحياة للعالم" (يوحنا ٦: ٣٣). وعندما قال إنه هو "خبز الله"، وإنه هو المن الحقيقي الذي كل من يأكله لا يموت، فقد ردَّ أصل الخليقة الجديدة إلى السماء، أي اللاهوت نفسه أي الله الآب، وبهذا يكون لنا ثقة في أن ما هو من فوق، هو فوق مقاييس الأرضيات كلها، وأن ما هو من فوق يجب رده إلى أصله الإلهي السمائي، وهذا يضعنا أمام ثلاث حقائق تشبه "الحبل المثلث الذي لا ينقطع" (راجع جا ٤: ١٢).

---

(1) الرئاسة والسلطان حسب شرح ديوناسيوس الأريوباغي هي رئاسة حسب الترتيب السمائي حيث يخدم الأكبر الأصغر. ورئاسة حسب الترتيب الأرضي، وهي ما يُعرف باسم (الهيراركية) أي تدرج السلطان من المطلق على رأس كل قوة مثل الإمبراطور والنظام الملكي غير الدستوري إلى حيث ينعدم السلطان وهو ما يجعل صورة الهيراركية مثل الهرم. هذه الصورة مختلفة تماماً عن صورة السلطة والرئاسة حسب الإنجيل.

وأول هذه الحقائق هي أن السمائي لا يفنى، فهو آت من حياة مَن لا يموت، وأُعطي من الآب بواسطة الابن بتقديس الروح القدس، لذلك السبب لا يفنى جسد الرب مهما تناولناه، بل يغلب الفساد ويبلع الموت ويبيد كل ضعف فينا.

وثاني هذه الحقائق أن السمائي يوحِّد ولا يفرق، وهكذا يوحِّد الجسد والدم المؤمنين ويجعل الكل "جسداً واحداً وروحاً واحداً" (القداس الإلهي)، وهو هنا يجعل رئاسة الكهنوت رئاسة بذل وخدمة.

وثالث هذه الحقائق أن السمائي يقدِّس ويحيي وهو لا يُعطى حسب تقدمنا الروحي، بل حسب المحبة الإلهية، ولا يُوهب للمتقدمين فقط، بل للضعفاء؛ لأن السماء تفرح بتوبة الواحد وتعطي نعمة وافرة للخطاة.

وإذا جمعنا فتائل الحبل المثلث نرى في بقاء النعمة الإلهية عودة الخليقة إلى الثبات الذي وعدنا به ربنا يسوع المسيح "اثبتوا فيَّ وأنا أثبت فيكم" (راجع يوحنا ١٥: ٤). وإذا كان الرب قد جاء لكي يوحِّد السماء والأرض إلى أن تصبح هذه الوحدة كاملة في يوم الدينونة، فإن عربون هذه الوحدة نراه في وحدة جسد الرب يسوع المسيح أي الكنيسة. وقد نالت الكنيسة هذا الاسم بسبب تجسد الابن وشركته في ذات اللحم والدم بسبب ردنا إلى شركة مجده ليكون هو البكر والرأس المتقدم في كل شيء ونكون نحن "إخوته" حسب "قانون الحياة" الذي ليسوع المسيح عندما نولد من فوق من الآب على مثال ولادة الابن المتجسد، ليس من لحم ودم ولا من جسد ولا بإرادة إنسان بل من الله (راجع يوحنا ١: ١٣).

وعندما قالت الأسفار المقدسة إن الكنيسة هي جسد المسيح الواحد، فقد أعلنت بالروح القدس وبواسطة الرسل أنها باقية مثل بقاء الابن المتجسد، وأنها لا يمكن أن تنقسم إلى اثنين أو أكثر، بل هي "الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية". وتقدس نعمة الرب وتحيي المائتين، ليس حسب جهادنا ونسكنا، بل حسب مسرة الله؛ لأن عطية الله لم تكن من الناموس الموسوي، ولا هي حسب

الناموس، بل حسب المحبة الإلهية وصلاح الله الذي أُعلِنَ بفمه الإلهي عندما أعطى الذين جاءوا وعملوا في الكرمة في آخر النهار أي أصحاب الساعة الحادية عشر ذات العطية التي أُعطيت للذين عملوا طول النهار.

هذا صعبٌ على الذين يضعون أعمال الله تحت سلطان الناموس، وسهلٌ على الذين يدركون أن ابن الله جاء لكي يبرر الفاجر (رو ٤: ٥)، ويحيي الذين ماتوا بالخطية. ونحن نسلك طريق الآباء القديسين لأنه الطريق الوحيد الذي يحفظ لنا نعمة الله الوافرة، أي يجعلنا ندخل دائماً من الباب الضيق (مت ٧: ١٣، لو ١٣: ٢٤).

الخليقة الجديدة كما تعلنها الخدمة المقدسة (الليتورجية):

٦٢- يبدأ يوم الرب (الأحد) بعشية السبت؛ لأن سفر الخليقة يقول: "وكان مساء وكان صباح"، فرتَّب إشراق النور بعد ظلمة طفولة الخليقة الأولى. ونحن نبدأ بالشكر وبالمزامير والترتيل لأعمال الخلاص العظيم مثل عبور البحر الأحمر الذي هو ظل اغتسالنا في مياه الحميم الجديد، وخلاص الفتية الذي هو ظل خلاصنا من الدهر، ثم مجمع القديسين الذي يكمل شكر الكنيسة على بركة الخليقة ونعمة الخلاص وعلى عمل روح الآب الذي جمع من كل أرجاء المسكونة شعباً مبرراً مقدساً من الآباء والشهداء والأبرار وتاج كل هؤلاء هي والدة الإله القديسة مريم.

٦٣- وعندما نطلب شفاعة الملائكة ورؤساء الملائكة ووالدة الإله ثم الآباء الرسل والقديسين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الصديقين، فإننا نجتمع مع هؤلاء جسداً واحداً نراه بالإيمان الواحد الذي جمع كل هؤلاء بنا في يسوع المسيح ربنا رأس الكنيسة الواحد لجسد واحد ووحيد هو الكنيسة الجامعة المقدسة الأرثوذكسية.

٦٤- هكذا تعلن صلواتنا إبادة الموت بقيامة الرب التي "أنارت الحياة والخلود" (٢ تيمو ١: ١٠). وتتجلى الخليقة الجديدة كمولود يظهر صغيراً وضئيلاً في الكون المثقل بـ"البطل"، والرازح تحت ثقل خطايا البشر، والذي ينتظر زمان الانعتاق الآتي من يوم

الدينونة عندما يكمل خلاصنا بقيامة الجنس البشري كله.

٦٥- وملامح هذا المولود الصغير نراها أولاً في الرب نفسه، ثم في العذراء القديسة مريم التي ولدت دون زواج وأثمرت دون فلاحة بشر، وكلاهما يشهد بالميلاد الآتي من فوق. يشهد الرب؛ لأنه أزلياً مولود من الآب ليس حسب الجسد، بل حسب وحدانية الجوهر، وفي الزمان مولود من العذراء جسدياً وحسب روح الحياة أي الروح القدس. وهكذا جمع الرب في كيانه (أقنومه) البنوة الأزلية والبنوة الإنسانية؛ لأنه ابنٌ واحدٌ وحيدٌ للآب وللقديسة مريم.

وبسبب بنوته، نلنا نحن ثبات وبقاء نعمة التبني، وبسبب ميلاده بالجسد أتت إلينا هذه النعمة الإلهية مُعلِنةً لنا تجلي الخليقة الجديدة الآتية من فوق لكي تأخذ مما هو ترابي وتحوله إلى عنصر سمائي بواسطة الابن المتجسد، وبعمل روح الحياة أي روح الآب. عملٌ عجيبٌ حقاً لأننا نولد حسب الجسد (الولادة البيولوجية)، ولكننا نولد حسب الروح مثل ميلاد ربنا يسوع المسيح الذي هو مثال وينبوع الميلاد الثاني في المعمودية المقدسة. فهو مثالٌ؛ لأنه تم بلا زواج وميلادنا الجديد فوق حدود ورسم الخليقة الأولى بأسرها رغم أنه يأخذ من المياه أي مياه الخليقة الأولى الاغتسال والتجديد لأن المياه تتجلى بقوة روح الحياة وتأخذ من نور بنوة الابن ذلك النور الإلهي الذي يحول طبع العبيد بالنعمة إلى طبع أبناء الملكوت وأبناء الآب السماوي في يسوع المسيح[1].

هذه النعمة هي التي تجمع أعضاء جسد المسيح، وهي أساس شفاعة والدة الإله والقديسين والشهداء؛ لأننا بنعمة التبني الواحدة نجتمع في المسيح ونصبح جسده، أي جسد الابن الوحيد؛ لأننا أخذنا من نور بنوته الأزلي نور نعمة التبني، وهو الذي يطبع فينا هذا الختم الإلهي، أي ختم التبني الذي تراه القوات السمائية ومجمع القديسين لامعاً

---

(1) تُسمى المعمودية منذ بداية العصر الرسولي "الاستنارة" (عب ٦: ٤) وحول هذا الاسم نجد الكثير من الإشارات إلى النور الإلهي في صلوات المعمودية المقدسة.

منيراً بنور الحق أي نور الروح القدس، ونور عدم الموت؛ لأننا في المسيح نلنا عربون القيامة، ونور مجد ميراث الملكوت؛ لأننا في المسيح قد تحررنا من لعنة الموت والخطية والفساد ولبسنا الرب يسوع المسيح رداءً برٍ في سر المعمودية المقدسة "ختم لا ينحل"[١] ولا يفسد ولا يضمحل يؤهلنا دائماً للاقتراب الدائم من المائدة المقدسة لكي ننال ميراثنا من الحمل ابن الله الحي.

٦٦- هذا يظهر لمن يرى بالإيمان المستقيم رسم الخليقة الجديدة حيث يسطع نور البنوة بقوة الروح القدس في الطبيعة الترابية المثقلة بالخطية ويحولها إلى طبيعة حرة تكمل يوم الدينونة بقيامة الجسد؛ لأن خيمتنا الأرضية (٢ كو ٥: ١) تتحول إلى ذات مجد المسيح في يوم الدينونة حيث سيغيِّر الرب "جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١). وإذا كان نور المسيح قد سطع في حياة آبائنا القديسين مثل ارسانيوس ويوحنا القصير والأبوين مكسيموس ودوماديوس وأنبا مقار الكبير، فقد أُعطيت لنا هذه الإعلانات لكي تؤكد لنا أن ما نناله في الدهر الآتي هو حق يضمنه ربنا يسوع "ضامن العهد الأفضل" (عب ٧: ٢٢).

٦٧- وتتجلى الخليقة الجديدة السمائية عندما نسبِّح مع القوات المقدسة القيام حول العرش الناري. وبالصلاة والتسبيح، ندخل إلى حضرة الآب في ابنه يسوع المسيح رأس الكنيسة جسده المقدس. ولأن الرب هو رأس الكنيسة، نصلي ذات الصلوات التي سُلِّمت إلينا بواسطته وبواسطة الرسل القديسين. ونشكر على الخلق والخلاص الذي أعطاه لنا ربنا يسوع مؤمنين بأننا في انتظار مجيئه الثاني نتوقع استعلان مجده والمجازاة الأبدية.

---

(١) راجع صلوات المعمودية حسب طقس كنيستنا المقدسة "ختم لا ينحل" لأنه ختم إلهي أبدي في ربنا يسوع المسيح.

٦٨- نحن نعبر من الخليقة إلى تدبير الخلاص قبل إعلان عطية الجسد والدم، أي التسليم الذي تم في عُلية صهيون، لأننا لا نملك أن نقترب من هذا السر العظيم بدون إيمان واعتراف صادق، وكل ما أُعلن من إيمان يسبق كلمات الرب[١]، لأنه يُوهَب لنا عند كمال السر، ونحن نصلي ونقول إن الرب أسلم ذاته بإرادته وحده وسلطانه "لأنه فيما هو راسم أن يسلم ذاته للموت عن حياة العالم أخذ خبزاً"، وبقية كلام الحياة[٢]. ونؤكد بذلك أن أصل الخلاص هو إرادة الرب الحرة التي تُسلِّم الناسوت أي الجسد والدم إلى الآب، وإلى الموت وإلى الإنسانية، تسليماً مثلثاً لا ينقطع. فهو تسليمٌ للآب؛ لأن الابن فتح لنا أحضان الآب بموته، وإلى الموت لكي يبيد الموت، وإلى الإنسانية لكي نحيا به. وأصل كل هذا هو محبة الآب والابن والروح القدس.

٦٩- قدَّم الرب ذاته للآب كرأسٍ جديد للإنسانية. وقدَّم ذاته للموت أي إلى حيث لا قوة للحياة على البقاء، لأن الموت هو نهاية الحياة على الوجهين، الوجه الروحي والوجه الجسداني. وعن الوجه الروحي يقول الرسول: "وإذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا أحياكم معه" (كو ٢: ١٣)، فالموت هو الاسم الحقيقي للخطية، أمَّا الموت الجسداني، فهو لم يدخل مع الخطية، بل التصق بالخطية وبالموت الروحي بسبب انعدام الشركة بين الله والإنسان. وعندما سلَّم الرب جسده ونفسه للموت لأجلنا، ذاق "عدم الحياة"، أي "ذاق الموت بالجسد"، وبذوقه الموت عنَّا خلَّص الأحياء وأعطى النياح للذين ماتوا[٣]. ولما ذاق الموت بالجسد، رفع فوراً ذلك العائق أي الحد الذي يفصل بين نور الحياة وظلمة الموت، فأشرق بنور قيامته على الأحياء؛ إذ جعل ذلك النور يشرق دائماً وحطَّم قوة الهاوية -كما سبق وذكرنا من قبل- وحوَّل الموت الجسدي إلى خادم للخلاص، إذ فصله عن حكم الموت، وصار الموت الجسدي يعمل ضد الموت الروحي، فتحول الخوف

---

(١) المقصود هنا تأسيس سر الإفخارستيا.

(٢) راجع القداس الباسيلي.

(٣) راجع العبارة في صلاة قسمة عيد القيامة "أيها المسيح إلهنا رئيس كهنة الخيرات العتيدة ملك الدهور".

من الموت الروحي إلى قوة ونعمة تهدم اللذة المغروسة في كياننا وتقودنا إلى التوبة. عند ذلك صار تقديم جسده ودمه طعاماً لعدم الموت وترياقاً ضد قوة الخطية أي الموت هو قربان المحبة الإلهية. هذا العمل المثلث لا يمكن فصله؛ لأنه أحيانا كأولاد للآب بموته وقيامته، وردَّ الفساد والموت عنا لكي نحيا إلى الأبد، وأغلق فم الهاوية أي محا الدينونة، وكل هذا لكي يعطي لنا ذاته طعاماً يقدِّس ويقوّي ويمجِّد طبعنا الإنساني فيه.

التقديم المثلث بالروح القدس:

٧٠- وعندما قدَّم ذاته للآب، فقد قدَّم ذاته مسيحاً، أي "المسيح"، أي القربان والذبيحة التي مُسحت بالروح القدس؛ ولذلك السبب يمسح الكاهن القربان، أي تقدمة الكنيسة بالماء مشيراً إلى أن الرب مُسِح بالروح القدس، وعندما ذاق الموت بالجسد أشرك روح الحياة أي روح الآب في موته المحيي لكي يُبيد روح الحياة الموت ويحول ظلمة الحياة إلى نور القيامة. وعندما قدَّم ذاته في العُلية، فقد كان يؤجل الإعلان العلني والعام للبشرية على الجلجثة لكي يجمع في هذا الإعلان العلني معاني التقديم التي أسَّسها في عُلية صهيون. فقد أعلن الغفران بقوله: "أغفر لهم"، وثبَّت بذلك ما قاله في العلية عن دمه الذي يُعطى لغفران الخطايا. وأعلن ميراث الملكوت السماوي بقبوله للص اليمين، وأعلن محبته لأمه ولتلميذه يوحنا؛ لأن الأولى أعطته حياته، الإنسانية والثاني استلم هذه الحياة في التعليم وفي السر المجيد.

وأعلن نهاية خوف الإنسان من تخلي الآب عنه بقوله: "إلهي لماذا تركتني؟"، ثم أعلن نهاية الإفخارستيا، أي القداس العلني على الجلجثة بقوله: "قد أُكمل"، فأكمل بذلك تقديم ذاته للخاصة أي التلاميذ والبشرية على الصليب.

٧١- وعندما أشترك الروح القدس في تدبير الخلاص، صار استلام الجسد والدم، بالروح القدس الذي مُسِح به الرب. وأخذ الروح القدس من الابن تقديم الابن لذاته كرأسٍ ووسيط؛ لأن الابن المتجسد اقتحم الهاوية وأباد سلطان القبر وحل لعنة الموت وأعلن القيامة وأسس حياة الدهر الآتي، هذا كلها حفظها لنا في ناسوته لكي

تُعطى لنا بالروح القدس، لكي يجمع الروح هبات الابن للإنسانية ويعطي هذه الهبات في تقدمة الكنيسة، ذبيحةً واحدةً وقرباناً واحداً فيه شدة وعزة الابن الوحيد، فصار بذلك الشريك المساوي للابن في الخلاص. لأنه بالولادة من العذراء، نال الابن من الروح القدس جسده ونفسه الإنسانية حسب مسرة الآب لكي يعطي الروح القدس سر الميلاد الجديد مؤسِّساً بذلك شركتنا في بنوة الابن حسب النعمة. وبمسحة المعمودية مُسِح الرب رأساً جديداً للإنسانية لكي ننال نحن ذات الإنسانية الجديدة التي للابن ممجَّدةً بالروح لكي تكون باسم يسوع وحسب مسحته ميراثاً سماوياً لا يفنى، ولذلك نقول في صلاتنا: "يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه".

٧٢- وأسَّس الربُ بتجسده وموته المحيي وقيامته ثلاثة ينابيع، ينبوع الخلود، وينبوع البنوة، وينبوع معرفتنا بالآب بالروح القدس. ثلاثة ينابيع هم واحد في الواحد يسوع المسيح ابن الآب الوحيد الذي منه تنبع كل خيرات وعطايا الدهر الآتي.

وعندما تجسد الرب، كان يبني في كيانه الإنساني الذي أخذه من العذراء الكيان الجديد، فنقله أولاً من مصدره الطبيعي الآدمي أي تراب الأرض إلى الأصل الجديد أي اقنوم الابن حيث البنوة والمجد طبيعة لا تموت؛ لكي تصبح لنا نعمة باقية إلى الأبد.

والرب هو الينبوع الذي نأخذ منه على قدر قامة كياننا الإنساني الجديد المخلوق فيه أي في يسوع المسيح. هو القوة الفاعلة في كل مؤمن ونحن به أقوياء، ولا نصبح قوة الله، وهذا يعني أن حدود تدبير الخلاص رسمها الابن المتجسد بالحدود التي تميِّز ولا تفصل النعمة عن الجوهر الإلهي. فالأولى شركة تُوهَب لمن لا يملك أي البشر، وتبقى عطية تدوم بالشركة وبالمحبة ولا تنقل الجوهر المخلوق من العدم أي جوهرنا البشري إلى ذات رتبة الجوهر الخالق؛ لأن العطية تعني أن ننال ما لا وجود له فينا ولا هو من طبعنا، ولكنه يُوهَب ويستقر فينا بالشركة وحسب حدود التدبير؛ لأن الشركة بالمحبة تعمل حسب التدبير الذي يحفظ دائماً وإلى الأبد تمايز الرأس عن الأعضاء، بل وتمايز كل عضو عن الآخر.

٧٣- وعندما وزَّع الرب جسده ودمه على التلاميذ في علية صهيون أعلن بذلك ثلاثة إعلانات إلهية:

أولاً: أعلن صورة الحياة الأبدية الآتية حيث يوزِّع هو بنفسه الحياة على كل الأعضاء.

ثانياً: أعلن تجديد الجسد وقيامته من الأموات؛ لأنه عندما أعطى جسده للتلاميذ أكد بهذا العطاء قيامة جسده وقيامة الأجساد، لأن الجسد والدم الذي يعطي الحياة الأبدية لا يمكن أن يكون جسد الموت والفساد، بل القيامة والحياة، ولذلك قال: "مَن يأكلني يحيا بي".

ثالثاً: أعلن تدبير سر الشركة؛ لأنه وزَّع جسده ودمه لكي يجمع حوله كل الذين يحبونه في الوليمة السماوية.

هذه الإعلانات الثلاثة حُفظت لنا في صلوات سر الإفخارستيا، وهذا يحتم علينا أن نحفظ هذه الإعلانات، لأن الرب هو الحياة، وهو القيامة، وهو فرح الوليمة السماوية.

٧٤- ولما وزَّع علينا جسده ودمه، أعلن أنه هو وحده الذي يملك توزيع هذا الميراث؛ لأن حياته في جسده ودمه، هي ميراثه الذي أخذه من الآب بالروح القدس، وردَّه إلى الآب حاملاً فيه كل خيرات الحياة الأبدية لكي يُعطى لنا حياً مجيداً لكل الذين يتناولون منه.

ولما أمسك بالخبز والكأس، نطق إنسانياً كلماتنا الإنسانية؛ لأنه إلهٌ متجسد، ولكن بقوة هذه الكلمة أسس ثلاثة إعلانات:

أولاً: إعلان دعوتنا إلى هذه الوليمة، لأننا نأتي حسب دعوته لنا.

ثانياً: أعلن بكلماته الإنسانية: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي" ما هو كائن وخفي قبل خلق العالم أي إرادته الإلهية التي بها ننال عطية الجسد والدم للحياة الأبدية.

ثالثاً: أعلن مساواتنا نحن بناسوته؛ لأننا بالتناول نصبح جسده. وبالشركة في جسده ودمه، ننتقل من الوجود الأول الذي جاء من العدم إلى الوجود الجديد الذي نناله

أولاً في المعمودية سر الولادة الجديدة، والذي ينمو بخبز الدهر الآتي بقوة الوجود الجديد الذي كُوِّن في أقنوم الابن المتجسد، والذي يُعطى لنا حسب "قياس ملء قامة المسيح" (أف ٤: ١٣)، أي الكمال الإنساني الجديد الذي كُوِّن في بيت لحم، ومُسِح بالروح، وغَلَبَ الموت، وجلس عن يمين الآب في الأعالي، فصار ارتفاع هذه القامة من الأرض إلى السماء، من بيت لحم إلى يمين الآب هو القامة الكاملة للإنسان الجديد التي كُوِّنت ونمت كاملةً بالإتحاد بأقنوم الابن الكلمة، فصارت كاملةً لا ينقصها هبة، ولا يهددها التغيِّر، ولا تحيا بانفصال الإنسان الأول الذي جلب الموت والعبودية والفساد لكل الخليقة المنظورة.

٧٥- وعندما قال الرب بعد الشكر: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، ثم كَسَرَ، أعلن بالكسر دخول الخبز المخلوق من الأرض وليمة الملكوت؛ لأنه سرياً "كسر" لكي يفصل الأرضي من الأرض وينقله لكي يصير سمائياً ويدخل نور الحياة ومجد الملكوت الآتي حيث يتحول الفاسد إلى عدم فساد، والمائت إلى حياة أبدية. وعندما وزَّع جسده ودمه، أعلن بالتوزيع وثبَّت ثلاثة إعلانات كانت خافية علينا وصارت معلنة في السر المجيد:

أولاً: أعلن أن كل المؤمنين به هم جسده؛ لأن الكنيسة هي جسد الرب، وكل عضو في هذا الجسد له صلة قرابة واحدة، هي صلة قرابة الرأس بكل عضو، أي قرابة الإتحاد بين اللاهوت والناسوت في الابن الوحيد، وهكذا قيل: "صار بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، مؤكداً - الرسول - بذلك قرابةً واحدةً بين البكر المتقدم والأخوة الذين يولدون له كميراثه.

ثانياً: أعلن شركته فينا؛ لأننا جسده، كما هو جسدنا، شركة واحدة، هو يشترك فينا ونحن نشترك فيه شركة سمائية تحوِّل الضعيف والدنس الذي فينا، وتغسل فساد الخطية عندما نتناوله.

ثالثاً: أعلن حقيقة وساطته، فهو الرأس والشفيع والوسيط؛ لأنه عندما تجسد

ومات وقام وأعطانا جسده ودمه، صار واحداً معنا وفينا لكي نصبح نحن واحداً معه وفيه وبه.

٧٦- هو الرأس ونحن الأعضاء. هو الحياة ونحن به نحيا. ونحن نميِّز بين المسيح والمؤمنين ليس فقط بين جذر الكرمة والأغصان، والرأس والأعضاء، بل أيضاً بين مَن هو الحياة، ومَن يحيا حسب النعمة.

هو المجد ونحن نمجَّد فيه وبه، ولا نصبح نحن مجد الله. هو القوة ونحن به أقوياء ومنه ننال القوة، ولا نصبح نحن قوة الله، بل أقوياء به. هو الحكمة ونحن به حكماء، ننال منه وبالروح القدس الاستنارة كما ينال فلك السماء النور من الشمس. هو القدوس ونحن به نتقدس، وفيه ننال كمال قداسة ناسوته، ولا نصبح مثله إلاَّ حسب كمال وقياس قامته الإنسانية المعلَن لنا حسب تدبير محبته. هو الابن البكر حسب الجوهر ونحن ننال فيه التبني حسب النعمة؛ لكي به وحده - دون أن يكون هذا طبيعتنا - نجلس فيه وبه عن يمين الآب في العظمة، ونرث فيه ومعه ميراث ملكوته السماوي.

الخاتمة:

٧٧- عندما عُلِّقَ الرب يسوع على الصليب، وذاق الموت الجسداني بالجسد، ولم يمت روحياً مثل آدم الأول؛ لأنه لم يخطئ، فصل بموته الجسداني بين ما هو حي وما هو ميت. فقد مات بإرادته الإلهية لأنه قال: "لي سلطان أن أضعها" (يوحنا ١٠: ١٨) ومات أي انفصلت نفسه عن جسده، فصار موت الجسد بداية خلاص، وصار بذلك الموت الجسداني نهاية انفصال النفس عن الله مصدر الحياة.

لقد رَسَمَ هذا سرياً في العلية عندما قال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، وشكر أولاً ثم بارك، ثم قدس، ثم كسر. وبالشكر حول عطية الجسد والدم إلى هبة حياة. وبالبركة أعطى لهذه العطية الدوام وبالتقديس أعلن الروح القدس الذي مسحه في الأردن وكوّن ناسوته في أحشاء البتول والدة الإله القديسة مريم.

وقد رشم بيده الإلهية علامة الصليب مؤكِّداً تقديس الخبز والخمر بالروح القدس والتصاق عمل الروح القدس بموته وحياته. ولما كسر، فصل ما هو أرضي عن ما هو سمائي، أي دخل الخبز بالكسر بعد الشكر والبركة والتقديس، مجال الحياة التي لا تموت، تلك التي أُعلنت على الصليب والكائنة في أقنوم الابن الوحيد يسوع المسيح ربنا. لأنه عندما شكر، فقد شكر على موت الصليب. وعندما بارك، فقد أزال لعنة الموت وأعطى الحياة. وعندما قدَّس، وحَّدنا بتقديسه الذي قبله لأجلنا، فنقل قداسته الذاتية التي لأقنومه، والتي أودعها جسده ونفسه، وتلك التي أخذها من الروح القدس لأجلنا، فصارت في الخبز والخمر، وحوّلهما إلى حياته الإلهية المتجسدة بقوة العطاء وببذل المحبة، إذ وحَّد ذاته بمحبته الإلهية التي لا انفصال فيها بالخبز والخمر، ونقل قوته وحياته إلى العنصرين الذين كسر الأول منهما ونقله إلى السمائيات، وذاق الثاني لأجلنا لكي يتقدس بدم ذبيحته كآدم الثاني مُعلِناً لنا أنه كاهن وذبيحة ومتناوِل أيضاً؛ لأنه أكل مع التلاميذ الفصح الجديد، ولما أكل مع تلاميذه الفصح الجديد ثبَّت مكانه في الوليمة، وجعل نفسه الواهب والمانح والآكل أيضاً؛ لكي يكون لكل من يتناول حق التناول والشركة بسبب تناول الرب نفسه من السر السمائي.

ولما ذاق ذلك السر الذي أسَّسه بنفسه، أعلن لنا حقيقة الإتحاد به؛ لأنه رأس الإنسانية الجديد الذي يجمع الكل حوله. والذين يتناولون جسد الرب ودمه، إنما يتناولون ما تناوله الرب شركةً واحدةً، وجسداً واحداً. فهو يعطي جسده ودمه لكي يعود إليه حاملاً معه وفيه كل الذين يتناولون هذا السر، وحقاً أخذ الذي لنا أي الناسوت وأعطانا الذي له أي لاهوته الذي يجمع في وحدةِ جسدِه ونفسه الإنسانية كل الذين يتقدَّسون به وفيه.

٧٨- ما حدث في العُلية يشرح لنا موت الرب المحيي على الصليب؛ لأنه وهب حياته في الخبز والخمر، أي جسده ودمه الأقدسين، فأعلن الهبة للخاصة في العُلية، ثم أعلنها للخليقة كلها على الإقرانيون، ومنذ ذلك يراه الخاصة للخلاص، ويراه العامة

ويجدفون عليه مثل اليهود واللص الشمال.

في العُلية غسل أرجل التلاميذ كعبد، وعلى الصليب غسل قدمي آدم بدمه الكريم. في العلية مَدَّ يديه وأعطى الوليمة، وعلى الصليب مد يديه للمسامير وأعلن نهاية الموت.

٧٩- في العلية شَكَرَ للخلاص، وعلى الصليب قال قد أُكمِل، معلناً بذلك أن العشاء الإلهي والسري قد نال قوة القيامة علانية.

في العُلية بارَكَ، وعلى الصليب أعطى لذلك المطرود من حضرة الناس ومن الله، فرح الفردوس، ومزج بذلك الشكر بالبركة وقال لذلك الخاطئ: "اليوم تكون معي في الفردوس".

في العلية قدَّس، وعلى الصليب أعطى التقديس، الأساس الذي لا يزول بقوله: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي"، فنزع شوكة معصية آدم والجنس البشري.

٨٠- لقد نزع الرب الموت الجسدي بالقيامة، وثبَّت هذا بقوة الإتحاد بناسوته، فصار ناسوته حياً ومحيياً. ولما أسَّس الوليمة السماوية، صار هو الواهب وهو الطعام، هو الذي يدعو، وهو الذي يخدم، وعندما يقدِّم فهو يقدِّم ذاته.

كانت العُلية هي البداية وهي ميلاد قداسات الكنيسة التي مرت بالإقرانيون والقبر حتى تجلَّت الحياة بالقيامة. ومن عطاء ذاته للتلاميذ، إلى عطاء ذاته للعالم على الإقرانيون إلى أن كسر شوكة الموت، وبدد سلطان الجحيم، وسطع نور قيامته.

هذه الإعلانات المتلاحقة كلها نابعة من أقنوم الكلمة وتمر وتُعطى بجسده ودمه. فقد كسر قوة الانفصال بين السماء والأرض عندما أسَّس السر. وكسر قوة الموت عندما أعطى جسده ودمه وهو جالسٌ مع التلاميذ، فأعلن حقيقة حياة الدهر الآتي؛ لأنه يؤكل ولا ينفَذ، يوزَّعُ ولا ينقسِم، هو يعطي ما يكسره لكي يجمع بالكسر الذين كسرهم الموت. وهو هنا حيٌ جالسٌ مع التلاميذ؛ لأنه لا يمكن أن يعطي جسده وهو غائب

بالجسد؛ لأن الجسد يجب أن يكون منظوراً ومحسوساً حتى يمكن لنا أن نقول إنه أعطانا جسده فعلاً. هذا فعله الرب مرةً واحدةً مثل ميلاده، ومثل معموديته، وموته المحيي وقيامته، فهذه الإعلانات لا تتكرر؛ لأنه بميلاده أسَّس الاتحاد به، وفي معموديته في الأردن أعطى لنا الشركة في الروح القدس بمسحته، وفي الصليب أبطل الموت والدينونة، وفي القيامة أنار الحياة والخلود.

كل هذا كان يُعطى ويُعلَن في جسد الرب، ولذلك أعطانا جسده ودمه قبل أن يُسفك على الصليب؛ لأن الصليب خصَّصه الرب لإبادة الموت اللعنة والدينونة. أمَّا في العلية، فقد فتح سر الإتحاد به، وأعطى الجسد والدم للشهود أي للرسل؛ لكي يرى هؤلاء أن ما حدث في العلية سراً، قد صار علانيةً، وما أخذوه في شركة الرب، صار منظوراً أمامهم.

٨١- لقد غرس الرب الصليب المجيد عندما قَبِلَ أن يتحد بالناسوت، لأنه حقاً تجرد عن مجده وقوته وصار في "شبه الناس"، و"أخلى ذاته" وقَبِلَ "صورة العبد" (فيلبي ٢: ٧)، وعاش بهذه الصورة مصلوباً بالإرادة والنية كل يوم. وذاق التعب والعرق والدموع وتألَّم بتجارب من اليهود والتلاميذ والشيطان. ولم يكن الصليب جديداً عليه بل كان يراه حسب كلمات النبي "وجعي مقابلي كل حين" (مز ٣٨: ١٧)، ولذلك جعل الصليب قانون التلمذة؛ لأن البذل ينبع من القلب.

هكذا أحب الرب الجنس البشري، وأخذ طبيعتنا معلِناً بذلك محبته للإنسانية، ثم أعاد خلق وتكوين هذه الطبيعة في كيانه الإلهي لكي يتكون جذر الشركة، أي شركة طبيعتنا فيه، بما تمايز به الإتحاد الأقنومي، وشركتنا نحن فيه بما يُوهب من نعمة. والقوة التي تحرك كل هذا هي المحبة التي هي جوهر اللاهوت؛ لأن المحبة عَبَرَت إلينا بالتجسد، وأشركتنا نحن المائتين في عدم الموت وهو صفة اللاهوت، وأعطتنا شركة في بنوة الابن لنكون على مثاله ويبقى هو الأصل.

- هو القوة ونحن به وحده أقوياء.

- هو الحكمة ونحن به وحده حكماء.

- هو الأبدي ونحن به وحده نحيا إلى الأبد.

- هو القدوس ونحن به وفيه نتقدس ونصبح مقدسين.

هكذا تضيف الشركة إلى كياننا المخلوق من العدم ما لا يملكه هذا الكيان المائت؛ لكي يحيا بالشركة في الابن وبقوة الروح القدس، فتصبح النعمة هي الحياة التي نحياها في الابن دون أن يتحول جوهرنا الإنساني إلى جوهر إلهي، ودون أن نُبتلع في جوهر اللاهوت حسب التعليم الشيطاني لأوطاخي[1]، لأن الله لا يحتاج إلينا حتى نذوب فيه، ولم يخلقنا على صورته لكي نُبتلع فيه. لأن وجودنا في شركة مع الله لا يُضيف إلى الله شيئاً، بل يعطي لنا نحن الفقراء غنى مواهبه.

وعندما نتناول جسد الرب ودمه، فإننا نأكل لكي نحيا، ونشرب لكي تشتعل فينا المحبة الإلهية عندما نشرب كاس محبته. ونحن نأكل ونشرب هذا السر السمائي الإلهي لأننا به نعود إلى الشركة، ليس لأن الخطية تبيد الشركة، ولا لأن ما نأخذ يقع تحت شوكة الموت أي ينتهي، بل لأن الاقتراب من السر هو اقترابٌ دائمٌ من ينبوع الحياة وتأهيلٌ ليوم الدينونة.

نحن في الجسد ونبتعد بالفكر والإرادة عن الله، ولذلك نحتاج إلى الطعام السمائي؛ لأن الاستعداد للتناول يخلق فينا كرامة الأبناء، ويشعل في قلوبنا نار الشوق، وتجعلنا نعمة المسيح أنقياء ..

نحن نتناول دائماً حتى لا نسقط في وهم الخطية، ونظن أننا أحياء بقدرتنا.

---

(1) من العبارات المأثورة عن أوطاخي أن الناسوت ذاب في اللاهوت مثل ذوبان قطرة عسل في بحر من الماء.

رشم علامة الصليب وحدود التدبير:

٨٢- عندما نرشم علامة الصليب، فإن رشم هذه العلامة الإلهية يرسم أمام قلوبنا حدود التدبير:

نحن نضع أصابعنا على الجبهة ونقول باسم الآب الذي منه أخذنا ختم البنوة في الابن ربنا يسوع المسيح. ونحرِّك أيدينا إلى أسفل باسم الابن حركة نزول الذي تواضَع إلى فقرنا، وصار مثلنا ما خلا الخطية وحدها. وهكذا نعترف بتمايز الآب والابن بحركة أيدينا من فوق إلى أسفل، وبنفس الحس الروحي، نرفع أيدينا لكي تتحرك من الشمال إلى اليمين؛ لأننا نرتفع إلى أعلى، إلى رتبةٍ فائقةٍ بسبب عمل الروح القدس فينا الذي به انتقلنا من الموت إلى الحياة بالاتحاد بربنا يسوع المسيح، ونحن نعترف بتمايُز القدوس عن المقدَّسين، وعندما ننقل أيدينا إلى اليمين، فإننا بقوة ونعمة المعزي ننتقل إلى مجد ربنا يسوع المسيح الجالس عن يمين الآب.

هكذا نرى حدود التدبير، فكما أن الآب متمايزٌ عن الابن، والابن متمايزٌ عن الروح، والروح متمايزٌ عن الآب والابن، ثلاثة أقانيم في جوهر واحد، فإننا برشم الصليب، ندرك أننا نظل في شركة التمايُز الأبدي لأقانيم الثالوث.

هذه الحركة الطقسية تنقل القلب إلى حركة الشركة في الثالوث؛ لأننا نتحرك روحياً إلى الحياة الإلهية بواسطة رأس الكنيسة ربنا يسوع المسيح؛ لأن الابن هو الذي يقدِّمنا للروح القدس المعزِّي، ويحركنا فيه لقبول الروح؛ لكي نتحرك نحو الآب الأصل أو الينبوع الذي منه الابن والروح أزلياً، والذين بهما قد دخلنا إلى هذه الشركة.

هذه الحركة الأبدية هنا وفي الدهر الآتي قائمةٌ على التمايُز الأبدي الدائم بين الخالق أي جوهر الله، والمخلوق أي جوهرنا المخلوق من العدم. ووحدانية جوهر الثالوث لا تلغي تمايز أقانيم الثالوث. وعلى نفس القياس لا تلغي وحدانية جسد المسيح تمايز أعضاء هذا الجسد. وبرشم الصليب ننال ثباتاً في الحياة الإلهية التي غُرست فينا

بالمعمودية، وتنمو بالمسحة المقدسة وتتغذّى بخبز الله النازل من فوق الواهب الحياة للعالم أي جسد ودم عمانوئيل إلهنا (راجع يوحنا ٦: ٣٣).

٨٣- أرجو من الأب أغاثون أن يكون مثالاً للذين ابتدئوا حياةً جديدةً؛ لكي يتعلموا وقار واحترام صلوات وطقوس الكنيسة، وأن يكون الحوار بهدوء ومحبة من أجل الفهم لا من أجل زعزعة ما هو ثابت، وأنا أقصد بالذات رشم الصليب ومحبتنا لمن مات عنا ورفَعَ عنا دينونة الموت والجحيم.

لنرشم الصليب بتقوى أرثوذكسية، ولنغرس في نفوسنا محبةً صادقةً لما تعلِّم به الكنيسة المقدسة.

٨٤- نحن نرشم علامة الصليب بقوة سر المعمودية، وسر المسحة، وسر ذاك الذي أسلم ذاته بإرادته وحده عنا، ورفع حكم الموت، وأباد سلطان الشيطان، وأبطل الفساد. هذه عطايا الذي صعد إلى العلاء وسبى سبياً ووزع هبات الدهر الآتي للمؤمنين به. نحن لا نحرك أيدينا بقوة الجسد، بل نحرك أيدينا بقوة الروح القدس، ولا نرشم علامةً ظاهرةً حسب ما تراه العينين، بل نرشم هبة وقوة ربنا يسوع المسيح، القوة التي تنبع من القلب ويحرِّكها الروح القدس.

لنحفظ الإيمان الذي سلَّمه إلينا الآباء، وغرسته فينا الكنيسة المقدسة، ولنحيا في عفافٍ وسلامٍ وفرحٍ بقوة الذي دعانا إلى مجده الأبدي ربنا يسوع المسيح.

صفرونيوس عبد يسوع المسيح وحامل صليبه، يقبِّلكم في المسيح يسوع.